الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر و الموسومة بـ:

صورة الثورة الجزائرية في أعمال الفنان

محمد إسياخم

التخصص: دراسات في الفنون التشكيلية

إعداد الطالبة: الأعرابي نجاة

لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: بلبشير عبد الرزاق	رئيسا
الأستاذ الدكتور: لصهب عبد القادر	ممتحنا
الأستاذة الدكتورة:خواني زهراء	مشرفا ومقررا

العام الجامعي:1437/1436هـ - 2016/2015م

شكر وتقدير

لي جزيل الشكر أن أتقدم بأسمى معاني التقدير والعرفان إلى جميع أساتذتي الكرام في قسم الفنون وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور طرشاوي بلحاج رئيس القسم وكل الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا في التعليم والنصيحة والإرشاد خلال سنوات التكوين بهذا القسم .

وكما لا أنسى شكر وتقدير الأستاذ الدكتور كروم بومدين عميد كلية الآداب واللغات الذي رعى هذا القسم ضمن كليته زيادة على ما بها من أقسام ووفر لنا من يقدّم لنا المعرفة والعون من الأساتذة المتخصصين .

وشكري الخاص وتقديري الكبير إلى أستاذتي الفاضلة التي كانت أكثر من مجرّد أستاذة كانت الموجهة والناصحة والأخت والصديقة وبمثابة الأم قبل أن تتفضل وتقبل بالإشراف على عملي هذا المتواضع وإرشادي لصياغة وضعه.

وكبير شكري للأساتذة المناقشين عملي هذا .

وإنني لمستعدّة لتلقّي كل الملاحظات والتوجيهات والاقتراحات التي سيدلونها لي وسأتقبلها بصدر رحب .

كما لا أنسى أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى كل من قدّم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد لانجاز هذا العمل المتواضع .

فشكراً جزيلا مرةً أخرى للجميع .

2016/05/24

الأعرابي نجاة

إهداء

أهدي عملي هذا إلى والدي ، ووالدتي ، وإخواني الكرام ، جميع الفنانين والعاملين في ميدان الفنون التشكيلية على الخصوص ، وإلى الأحبة والأصدقاء .

الأعرابي نجاة

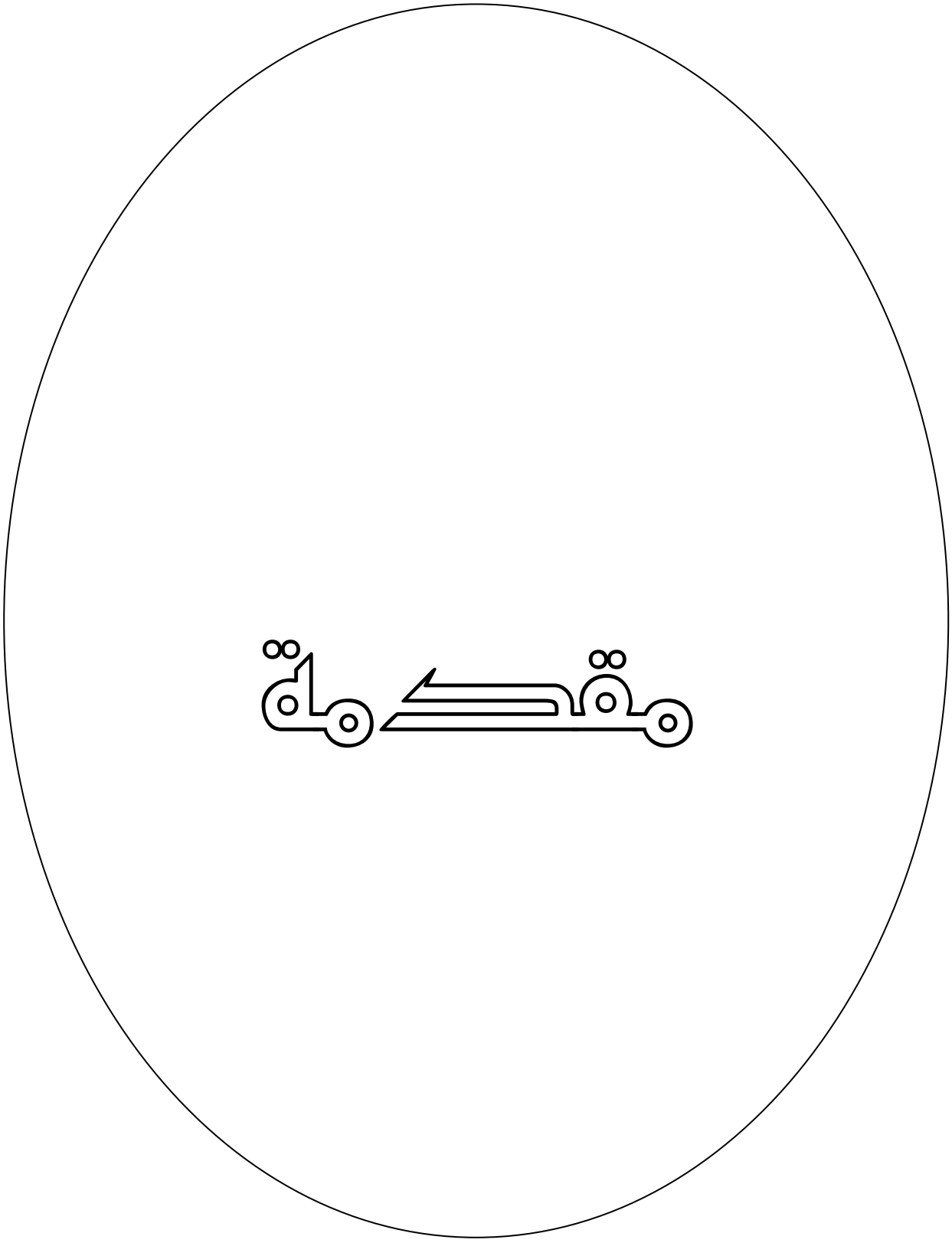
مقدمة

مقدمة

لقد عرف الفن التشكيلي ثورة كبيرة في القرون الغابرة، حيث شملت مختلف بقاع العالم،ومن بين هاته البقاع وطننا الجزائر، لقد تواجدت بهذه الأخيرة مجموعة من الفنون الإسلامية والأوروبية ،برع فنانوها في الفن التشكيلي براعة لا تقل أهمية عن الفنانين المهتمين بهذا التخصص أو المجال.

إن الفن ليست له ماهية محددة بل تختلف من رأي لآخر حسب تخصص صاحبه أو وجهة نظره.ونجد هذا الاختلاف أيضا عند مؤرخي الفنون والنقاد في تحليلهم لمفهوم الفن ،غير إن ما يفهم من لفظ كلمة الفن ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير عن انفعالات الإنسان وعواطفه وخبراته في الحياة وصياغتها في قالب تشكيلي أو معماري حسب العلاقات بين الخطوط والمساحات والألوان وبين التوافق والتباين والاتزان والتي تعكس صلة الإنسان بالكون وإدراكه.

لطالما ترجمت الفنون بمختلف أشكالها التجارب الإنسانية بمختلف أشكالها الفردية والجماعية ، ونقلت صوراً عن حياته منذ فجر التاريخ بل صارت هذه الفنون حوامل لثقافات الشعوب غبر العصور . بدءا من الرموز البسيطة في جدران الكهوف ، إلى المدارس الفنية المعاصرة بمختلف مميزاتها .

والفن في بلادنا لم ينأى عن هذه الرسالة الإعلامية الثقافية في نقل وتطوير تاريخ الجزائر ، منذ أقدم الحضارات ممثلة رسومات صخور الطاسيلي يفوق تاريخها 8000 سنة ، قدم إلى الفن التشكيلي الحديث وما صوّره من مظاهر ثقافية وحضارية ، وخاصّة

مقدمة

منها : الثورة الجزائرية بمختلف مظاهرها الحربية والمأساوية في تخليد مآثرها ، والتعبير عن وعي الفنان بأبعادها لتوظيف الفن التشكيلي كأداة جمالية للتعبير عن أعظم ثورة في العصر الحديث .

من هذا المنطلق جاءت دراستي في تقصّي ملامح الثورة الجزائرية من خلال الأعمال الفنية التشكيلية والبحث في مظاهرها عبر التاريخ ، خاصّة منه الحديث . متّخذة من الفنان إسياخم أنموذجاً في مقاربات وصفية لبعض منجزاته .

وعليه فالإشكالية المحورية لهذا البحث تتمثل في تقصّي الأعمال التشكيلية التي تجسّد تاريخ الثورة الجزائرية (1954_ 1962) وتتمحور حول هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات لعلّ أبرزها :

_ ما مدى مساهمة الفن التشكيلي في تخليد الثورة ومراحلها وتسجيل مظاهرها المختلفة .؟

_ هل وفّق إسيلخم في ذلك ؟

فرضيات الدراسة :

_ يمكن للفن التشكيلي إثراء ثقافة الثورة الجزائرية في أعمال كثيرة ، لما لها من آثار في بلادنا والعالم .

_ إسياخم واحد من الذين عانوا من الآثار السلبية لهذه الثورة على المجتمع الجزائري ، فلابدّ من التعبير عن ذلك بالفن .

واستعملت في بحثي هذا بعض المصادر والمراجع أهمها : كتاب القرآن الكريم كمصدر ، ومن المراجع : كتابي إبراهيم مردوخ _ مسيرة الفن التشكيلي في الجزائر و الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر ، وكتاب إسياخم الوجه المنسي للفنّان الأعمال التصويرية لجعفر إينال ، والصادق بخوش ، كتاب التدليس على علم الجمال وكتاب الجزائر في العصور القديمة لمحفوظ قدّاش ، والدكتور صالح فركوس في كتابه المختصر في تاريخ الجزائر وبعض المجلاّت والمقالات اللتي ساعدتي في إتمام بحثي هذا .

أسباب اختيار الموضوع :

إن الهدف الذاتي لاختيار هذا الموضوع هو إعجابي الشديد بالثورة الجزائرية ، واعتبارها أيقونة تمثل صورة عن البطولة والشجاعة لبلادنا .

أمّا الموضوعي يتمثل في محاولة الإسهام العلمي للبحث في هذا الموضوع واستكشاف الأعمال الفنية المخلّدة لثورتنا ومدى مساهمتها في التاريخ الفني للثورة ، وكشف جرائم الاستعمار . وتخليد بطولات الشعب الجزائري ، وكذلك ندرة الدراسات الميدانية في هذا الموضوع .

أمّا أهداف الدراسة فتتمثل أولاّ في الإجابة على الإشكالية المحورية لهذا البحث وهو دور الفن التشكيلي في تخليد الثورة الجزائرية . ومساهمة الفن في نقل الصورة الحقيقية والمراحل المختلفة لثورتنا ومدى توضيح خباياها وآثارها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ... ونجاحها في ذلك .

مقدمة

وفيما يخصّ أهمّيّة هذا البحث فدراسة الآثار الفنية الممجّدة للثورة في الجزائر تكتسي أهمية بالغة في تجسيد مرحلة تاريخية مهمة في بلادنا ، بل في تثبيت جزء من هويتنا عبر الفن واعتباره مصدرا من مصادر التعريف بالثورة للعالم والأجيال وأهمية ذلك في إثراء الثقافة الفنية وسدّ الثغرات للمسح الفنّي التاريخي لهذه الحقبة التاريخية .

و أحصرت حدود البحث المكانية لطبيعته في الجزائر أمّا الزمنية فقد حامت حول الفترة الاستعمارية وما بعد الاستقلال توقفًا عند إسياخم أنموذجاً .

وعمدت في منهج هذا البحث إلى توظيف المنهج التاريخي في تقصّي الأعمال المنجزة في هذا المجال والمقاربة التأويلية في تحليل بعض الأعمال المتعلقة بذلك .

وكلّ دراسة تكون فيها الصعوبات وحواجز ينبغي تخطّيها للوصول إلى الغاية ، فكانت ندرة الدراسات في هذا البحث على الأقل في المكتبات بالرغم من تنقلي إلى جامعة سيدي بلعبّاس ومستغانم ووهران ، والتواصل مع طلبة الفنون في معسكر ، وإن وجدت فقد تعذّر علينا الوصول إليها حسب اطلاعي . ومع ذلك فقد سعيت جاهدة لرسم معالم البحث والسير قدماً لإنجازه في شكله هذا .وقد قسّمت بحثي هذا إلى :مدخل يتمحور حول مفهوم الثورة و فصل أول : تناولنت فيه الثورة و الحركة التشكيلية بالجزائر ، وقسمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول عنوناه ب : ملامح المقاومة والحرب في العصور القديمة .

والمبحث الثاني معنون ب : الثورة في الرسم الإستشراقي .

والمبحث الثالث بالثورة مابعد الاستقلال .

أمّا الفصل الثاني فقد خصصناه إلى صور الثورة الجزائرية من خلال إسياخم .

في المبحث الأول تطرقنا إلى حياته ، والمبحث الثاني بـأعماله في موضوع الثورة .

إما الثالث فهو تطبيقي خصص لتحليل لوحة "مسيرة الثورة " للفنان إسياخم .

وبخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس تفصيلي للموضوع .

مدخل

مفهوم الثورة

01_مفهوم الثورة :

جاء في (لسان العرب) : { ثار الشيء ثوراً وثؤوراً وثورانا وتثوّر : هاج ، والثائر : الغضبان ويقال للغضبان أهيج ما يكون : قد ثار ثائرة وفار فائرة ، وإذا غضب وهاج غضبه . وثار إليه : وثب . ويقال : انتظر حتى تسكن الثورة وهي الهيج ، وثار الدخان والغبار وغيرهما : ظهر وسطع } .[1]

وجاء في(المصباح المنير): { ثار الغبار : هاج ، ومنه قيل للفتنة : ثارت وأثارها العدو ، وثار الغضب : احتد، وثار إلى الشر : نهض ، وأثاروا الأرض : عمّروها بالفلاحة والزراعة .[2]

وجاء في (المعجم الوسيط): { ثَارَ يَثُورُ ثَوَرَانًا وثَوْراً وثَوْرةً : هاج وانتشر . وأثَارَهُ إثَارَةً وإثاراً : هيّجه ونشرَهُ ، وفي التنزيل العزيز : ~{{ فالمُغِيَراتِ صُبْحاً (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقعْاً }}~ [3]، وأثار الأرض : حرثها للزراعة ، وفي التنزيل العزيز : ~{{ أَوَ لَمْ يَسيرُوا فِي الأَرْض فَيَنْظرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّدينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وأَثَارُا الأَرضَ

[1] ابن منظور ، 109/4 ، دار المعارف .
[2] المصباح المنير للفيومي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ط5 ، 1922م ، ص 121.
[3] سورة العاديات ، الآيتان 3و4 .

وعَمَرُوهَا }}~ [1] . ويقال : أثار الأمر : بحثه واستقصاه . وفي الأثر : " أثيروا القرآن ، فإن فيه خير الأولين والآخرين" [2] .

أمّا (المعجم الفلسفي) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فعرّف (الثورة) بأنّها : (نقطة تحوُّل في حياة المجتمع لقلب النظام البالي وإحلال نظام تقدّمي جديد ، وهي بهذا تتميّز من الانقلاب الذي يتلخّص في نقل السلطة من يد لأخرى " [3]

وفي (المعجم الفلسفي) لجميل صليبا جاء : (الثورة تغيير جوهري في أوضاع المجتمع لا تتبع فيه طرق دستورية ...والثورة مقابلة للتّطوّر : فهي سريعة وهو بطيء ، وهي تحوُّل مفاجئ وهو تبدّل تدريجي) [4] .

يستخدم مفهوم الثورة في مجلات مختلفة للتعبير عن تغيرات جذرية وفجائية في العلم والفن والثقافة بمعنى التغيير .

" وقد استخدم مفهوم الثورة بالمعنى السياسي في أواخر القرون الوسطى ، كما يستخدم في علم الإجتماع السياسي للإشارة إلى التأثيرات المتبادلة للتغييرات الجذرية والمفاجئة للظروف والأوضاع الإجتماعية والسياسية " [5]

[1] سورة الرّوم الآية 9 .
[2] مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشرق الدولية ، ط4، 2004م، ص 102.
[3] ط مجمع اللغة العربية ،1983م ، ص 58 .
[4] دار الكتاب اللبناني ، ج1 ، 1982م، ص 381.
[5] شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية 2003. ص 46 .

ونعرّفها " أن الثورة أداة تطوّر تاريخي للمجتمعات الإنسانية ، فهي حدّ فاصل بين النظام القديم والجديد ، تحدث تغييراً جذرياً للبناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وحتّى الثقافي ، ويستهدف هذا التغيير إفراز منظومة تجسد مطالب الثوار وتحققها " .[1]

" الثورة حدث مفاجئ يؤدي إلى تغيير راديكالي يقطع الصلة بالماضي ويؤسس نظام يلبي مطالب الثوار والذين هم الشعب وليست نخب متصارعة في بنية النظام " [2]

كما أنّ أرسطو يرجع أسباب قيامها إلى عنصر أساسي وهو عدم الرّضا عن الوضع القائم وقد اعتبر هذا العلّة العامّة التي تهيّئ النفوس للثورة [3]

ومن أسبابها الاستبداد السياسي والاجتماعي والاقتصادي . والثورة هي : " التغيير المفاجئ السّريع بعيد الأثر في الكيان الاجتماعي لتحطيم استمرار الأحوال القائمة في المجتمع ، وذلك بإعادة تنظيم وبناء النظام الاجتماعي جذرياً "[4]

تعريف الثورة الجزائرية باسم " ثورة المليون شهيد " وهي حرب تحرير وطنية ثورية ضدّ الاستعمار الاستيطاني الفرنسي .

وبمجرّد أن وطأت الجيوش الفرنسية أرض الوطن ، هبّ الشعب الجزائري رافضاً للسيطرة الأجنبية للدفاع عن أرضه ، استمرّ صموده متمثّلا في مقاومات شعبية منها :

---

[1] محمد السويدي ، علم الاجتماع السياسي ميدانه وقضاياه ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية . ص129 .
[2] فوزية العطية ، علم اجتماع الثورة وخصائص المجتمع الثوري ، مجلة كلية الأدب العراقية ، العدد الرابع والعشرين 1979 . ص 458.
[3] شعبان الطاهر الأسود ، ص 64 .
[4] جابر السكران ، مقال (الثورة : تعريفها ، مفهومها ، نظريتها) موقع الجريدة.www.Algaredah.com

مقاومة الأمير عبد القادر _ أحمد باي _ بومعزة _ الزعاطشة _ فاطمة نسومر _ سيد الشيخ _ المقراني _ بوعمامة . في مناطق مختلفة من الجزائر الأغواط _ القبائل _ الصحراء ، تقريباً في كل مناطق الجزائر .

ونعنى المقاومة الشعبية المسلّحة : مقاومة شعبية دينية قام بها مشايخ ورؤساء القبائل تحت راية الجهاد في سبيل الله والأرض والشرف والوطن .

المبحث الأوّل : ملامح المقاومة والحرب في العصور القديمة .

نشا الفن مع الإنسان منذ بداية الحياة الإنسانية وقد ارتبط بمولد الإنسان نفسه في صورة بدائية ،وكان ذلك من الأدوات الزراعية وصيد والأواني التي كان آنذاك أي أن الفن ظهر عندما خرجت رغبة الإنسان في البحث عن الطعام والنوم فقط. وتمثّل ذلك في صناعة الأدوات الزراعية والصّيد والأواني المختلفة .

"ولم تكن لديه أدنى فكرة عن القيمة الجمالية التي أكتسبها هذا الإنسان البدائي من خلال ممارسته الطويلة لصنع تلك الأدوات و منها اكتساب خبرة حرفة طوال المراحل البدائية المختلفة التصقت بها عن وعي أو غير وعي مجموعة من التقاليد الفنية واكتسب من خلالها الكثير من المهارات فاستطاع من خلالها أن يعبر الزمن من العصور البدائية إلى العصور الحضارة.

شهدت الجزائر منذ فجر التاريخ ، تعاقب الحضارات منذ العصور الحجرية فيما قبل التاريخ وقد دلت المواقع الأثرية المتعددة على ذلك فيما قبل التاريخ ، من خلال ما عثر عليه علماء الآثار من خلال الحفريات على مخلّفات هذه الحقب من بقايا هياكل عظيمة وأسلحة وأدوات حجرية وعظمية وأوانٍ فخارية كما اكتشفوا نقوداً على جدران المغارات والصخور مثل نقوش الطاسيلي[1] التي كانت تمثّل رسوم أشخاص وحيوانات

[1] أنظر الشكل رقم (01).

كالبقر والفيلة والزّرافة والأسد والحمار الوحشي وما دلّت عليه أيضاً رسومات أشخاص يحملون رماحاً ويصوبون سهاما نحو الحيوانات خاصةً منها الأبقار [1] نستشفّ منها أن إنسان العصر الحجري القديم وحتّى الحديث منه عرف أداة حربية لكنّه استعملها للصيد من أجل كسب قوته والاستفادة من جلودها كلباس وغطاء وحتّى مسكن . وعثر على لؤلؤات من أصداف بيض النعام أدوات عظام مصقولة.

الشكل رقم (01) يمثل رسومات على صخور الطاسيلي

[1] أنظر الشكل (02). (03) (04).

الشكل رقم (02) يمثل رسومات للحيوانات التي كانت في فترة الطاسيلي القديمة

الشكل رقم (03).المشهد يتضمن صورة صياد أو محارب من سكان التاسيلي _ ناجر القدماء

الشكل رقم (04). المشهد يتضمن نموذجا من أشكال الرجال وهم مسلحون بالعصى والرماح والفؤوس والأقواس .

كما تتميز الحضارة القفصية بأدوات ذات شكل هندسي وقد نسب تاريخ هذه الأدوات،في ناحية تبسّة،إلى نهاية الألف السادس ،مارس الناس قلع الأسنان واستخدموا العظيمات البشرية أحيانا.

نستخلص أن إنسان العصر الحجري الوسيط استعمل بيض النعام وعظام الحيوانات في حياته اليومية كأدوات ساعدته في تيسير حياته كما نعرف أنه في هته الفترة أنه انتقل من الكهوف إلى الأكواخ واهتم بالمقابر وشكل الهرم.

لقد مارس الإنسان في العصر الحجري الحديث الصقل والنحت وصناعة سن رؤوس السهام الثنائية الوجوه،والفخار ،والزراعة وتربية الحيوانات. ويشكل هذا التقدم الهائل،الذي لم يتحقق في وقت واحد،الثورة النيوليتية.

وقد عمّت الجزائر والصحراء ،فإن الفخّار ذو عمق مخروطي قليل الزخرفة في أغلب الأحيان،الأدوات العظمية هامة جدا.وأصداف النعام مزينة بخطوط هندسية،كما استخدمت ملونات.والنيوليتي الجزائري حديث نسبيا في الشمال وبالعكس قديم جدا في الصحراء(6700 ق.م)تغير المظهر الطبيعي،خلال النيوليتي،فغدا المناخ أكثر جفافا وتغيرت الحيوانات،اختفى الفيل وفرس النهر،وظهرت الحيوانات الدجنة خاصّة الحصان والكلب.

من هنا ظهرت أدوات متقنة [1]:أحجار مصقولة سهام وفنّ نفيس جدا:نقوش ورسوم (الأحجار المكتوبة،رسوم منقوشة)،إنها تقدم لنا ،بالإضافة إلى قيمتها الفنية،معلومات عن الحيوانات القديمة(الفيلة والظباء والأسود والزرافات والنعام والكباش)،واللباس والحلي والأسلحة".[2]

الشكل رقم (05).يمثل الأدوات الحربية التي استعملها إنسان الطاسيلي قديما

[1] محفوظ قداش ،الجزائر في العصور القديمة ، د_ط،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب 1993 ، ص263 . (بتصرّف).

[2] أنظر الشكل رقم (05).

لاحظ"إبراهيم العيد بشي"من خلال المشاهد التي بقيت على جدران الكهوف في منطقة التاسيلي– ناجر،أن ظواهر سلوكية حيوانية إنسانية،رأى من خلالها أنه يمكن العثور على خيوط تاريخ هذه المنطقة التي تتميز بموقع فريد ومناخ صحراوي.كانت في الماضي مسرحا لثقافة وربما حضارة عظيمة ازدهرت فوق أرض التاسيلي –ناجر وما جاورها.نمت وضربت بجذورها حتى الأعماق من مرحلة التحول من حياة الجمع والالتقاط والتنقل إلى حياة الاستقرار والإنتاج.

وعندما نرجع إلى جذور البشرية الأولى التي كانت تقدس فكرة الوطن والدفاع عنه عندما تجسد أحداثه في مشاهد رسومها على جدران الصخور.بمثابة سجل تاريخي خالد لذلك يعتبر أكثر ارتباطا بالوطن الذي حملهم في الماضي .أولئك التاسيليون الذين لم يهملوا تاريخ وطنهم،وربما بذلوا في سبيله تسجيله عن طريق فنانوهم وبذلك قد حافظوا على إحيائه والمحافظة على ذلك التراث الكثير من فنانو التاسيلي–ناجر يستحقون التقدير منا. ومن البشرية كلها.[1]

يمكننا القول عن الرسومات التي وجدت على صخور الطاسيلي على أنها تراث فنيا عالميا يفوق 8000 سنة ق.م[2] وهي أقدم حضارة في وسط الصحراء في العالم، وأكبر متحف مفتوح على الطبيعة.

[1] أ.د:إبراهيم العيد بشي ،البعد الوطني من خلال مظاهر المجتمع الطوطمي ومشاهدة الرسوم الصخرية لمنطقة التاسيلي _ناجر الى المدنية (في فترة قبل التاريخ،وفجر التاريخ)، ص5_6 (بتصرف).

[2] نفس المرجع ، ص 5_6.

فن العصر القديم الجزائري :

_ المماليك النوميدية : من القرن الرابع قبل الميلاد إلى حوالي 146 ق م ، عرف الإنسان النوميدي حياة الاستقرار وتجمع العائلات وبداية ظهور القوى والمدن ثم تجمع القبائل وتوحيدها في شكل مماليك (الماسيل الشرقية والماسيسيل الغربية والغرامنت الجنوبية) ، وقد دلت المنحوتات في المتاحف الجزائرية على وجود ملوك تداولوا على الحكم مثل تمثال الملك " فرمينا " و " مسينيسا " و " سيفاقس " و "يوغرطة" كما تصورها العملات المعدنية التي وجدت بمختلف المواقع الأثرية ، كما صورت على هذه العملات صورًا لبعض الحيوانات كالفيل وأغلبها كانت تحمل صورة الفرس وهي رمز للقوة والفروسية وبداية ظهور قوات للدفاع عن الإنسان وممتلكاته .

فنون الاستعمار القديم : (الرومان _ الوندال _ البيزنطيين)

عرفت الجزائر منذ 146 ق م إلى 629 م [1] استعمارات عسكرية استيطانية وقد دلت على آثار المدن القديمة بتيمقاد وجميلة وتيبازة وشنوة المحصنة لعزل أصحاب الأرض وتشريدهم إلى الجبال والمرتفعات . إلا أن زعماء الدولة النوميدية أبوا إلا أن يقاوموا هذا المستعمر الدخيل بالقيام بثورات كثيرة "تكفريناس "(17 م إلى 24 م) ،" ويوغرطة " وغيرهم ممن خلدت صورهم في العملات الوطنية .

[1] صالح فركوس ، تاريخ الجزائر (من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال) ، د ط ، عنابة ، مطبعة دار العلوم 2005 م _ 1426ه ، ص 47.

وقد " كان لفن العمران عندهم مكانة حضيت به حضارتهم الاستعمارية ، حيث اهتم الرومان بإنشاء المدن والقلاع العسكرية وشبكات الطرق ، التي تحقق لهم الاتصال السريع بين مختلف الحاميات العسكرية الرومانية بإفريقيا مثل : تمقاد ، لامبيس ، جميلة ، قالمة ، بالجزائر ، سبيطلة ، حيدرة ، قلعة سنان بتونس" .[1]

اهتم الرومان بإنشاء المدن والقلاع العسكرية وشبكات الطرق التي تحقق لهم الاتصال السريع بين مختلف الحاميات العسكرية الرومانية بأفريقيا مثل : تمقاد ،لامبيس ،جميلة ،قالمة بالجزائر ،سبيطلة، حيدرة ،قلعة سنان بتونس ، ومن الطرق التي عبدوها الطرق الرابطة بين حيدرة وقابس، والطريق الرابط بين تبسه وعنابه ، والطرق الرابط بين قرطاجة وتبسه ولامبيس ،والطريق الرابطة بين سطيف وسور الغزلان.

هكذا عرفت هذه الفترة عقما حضاريا في ظل الاحتلال الروماني. وفي ما يخص الاحتلال الوندالي (429 م _ 534 م)[2] احتفظ الوندال بالنّظام الإداري الذي ورثوه عن الرومان ، ولم يكن الوندال أهل حضارة ولا كانوا يقدرون القيم الحضارية ، بل إنهم قوم غلاظ يرتبط اسمهم بكل مفاهيم الوحشية والهمجية ، حكموا البلاد بالاستبدادِ المطلق ، وصادروا الضّياع من الأهالي وانتزعوا منهم أملاكهم وأراضيهم ، وتعسفوا في جميع الضرائب .

[1] _ د. يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسط ، الجزء الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر1992، ص 58.

[2]، المرجع نفسه ص 29_30.

وقد أبقى الوندال لسكان الوطن الجزائري مجالسهم البلدية وشرائعهم ،ولم يكن الوندال أهل حضارة ولا كانوا يقدرون القيم الحضارية ،بل أنهم قوم غلاظ ،يرتبط اسمهم بكل مفاهيم الوحشية والهمجية ، حكموا البلاد بالاستبداد المطلق وصادروا الضياع من الأهالي وانتزعوا منهم أملاكهم ، وتعسفوا في جميع الضرائب .

الحقيقة أن الوندال مثلهم كمثل الرومان الذين عاثوا فسادا بقرطاجة عند الاستيلاء عليها ،كذالك أتى الوندال على المنشئات والحصون الرومانية ."فاتوا معهم بالثالوث الرهيب:الخراب والمحق والدمار .وبين طرفة عين وانتباهها كانت المعالم الرومانية قد أصبحت خرابا ،والأرض الزراعية قاعا صفصفا .[1]

أي انه لم تكن في هته الفترة أية إبداعات أو انجازات من الناحية الفنية لانشغال الوندال بأمور أخرى غير الفن ومجالاته ، ولكنهم قضوا وخربوا الآثار المعمارية والمعالم الرومانية وأتوا على المنشآت والحصون فدمروها لتصبح خرابا .

أما الاحتلال البزنطي (534م_ 647م)[2] فلم يقدم البزنطيون للبربر أي عمل ذي شأن في ميدان الإصلاح أو الثقافة ، وكل ما فعلوه من تعبيد طرق أو بناء حصون أو حركة فلاحة إنما هو من أجل مصالحهم الاستعمارية ومن أجل بناء حضارتهم المادية بعاصمتهم البيزنطية ، تلك هي سياسة الاستعمار بل الاستكبار في كل زمان ومكان .

[1] د.صالح فركوس ،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م_1962م)،ص39(بتصرف).

[2] _د. صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال ،دار العلوم للنشر والتوزيع د_ط ، عنابة ،الجزائر ،2005_1426 ، ص 64.

وقد دلت على ذلك الآثار التي خلفوها وهي عبارة عن أسوار عالية أقاموها للمحافظة على أمنهم في مناطق الأوراس وآثار تيمقاد .

سلك الروم نفس السياسة التي سلكها أسلافهم الرومان في" السيطرة على الأراضي واستغلالها وغرس العداوة والبغضاء بين القبائل الجزائرية ،والاحتفاظ برهائن من قبائلهم وجعل رؤساء بعض القبائل خاضعين لطاعتهم"[1] .

ولم يقدم البيزنطيون للبربر أي عمل ذي شان في ميدان الإصلاح أو الثقافة وكل ما فعلوه من تعبيد طرق أو بناء حصون أو حركة فلاحة إنما هو من اجل مصالحهم الاستعمارية ومن اجل بناء حضارتهم المادية بعاصمتهم البيزنطية ،تلك هي سياسة الاستعمار بل الاستكبار في كل زمان ومكان .

وللمحافظة على أمنهم أحاطوا أنفسهم بأسوار عالية لا تزل آثارها حتى اليوم دالة على تاريخهم الذي لم يترك أي آثار روحية أو لغوية أو حضارية بالرغم من هياكله الضخمة وآثاره الضخمة والفخمة ، بل عاثوا في البوادي فسادا ، الأمر الذي أثار عليهم البربر نتيجة معاملتهم السيئة لهم فقامت في البلاد ثورات عديدة ضدهم .[2]

" إلى أن فتح الله على شعبنا برسالة الإسلام والعروبة مرت على الجزائر قبل الفتح الإسلامي خمس أمم عظيمة كما سبق وذكرنا، وانصهروا في ثقافة علمية وإنسانية هي

[1] مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزائر1976م، ص 364_365.

[2] د.صالح فركوس ،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م_1962م)،ص39(بتصرف).

الثقافة العربية الممتدة من بلاد السند شرقا ، ومرورا ببغداد حتى اسبانيا وبوابته شمالا حتى تمبكتوا جنوبا ..... فتأثرت الجزائر بهذه الحضارات وأثرت فيها بمستويات مختلفة بحيث أخذ الفن التشكيلي معالمه في الجزائر عبر تاريخها الحديث والمعاصر ، عن المدارس الفنية المختلفة التي وجدت في الدول العربية الإسلامية المتعاقبة منذ العهد الأموي ، إلى العهد التركي مرورا بكافة الدول والحقب التي عاشها عالمنا الإسلامية وأمتنا العربية ، حيث نجد حضورا فنيا لاسيما في الرسومات التصغيرية في مساجدنا وقصورنا ،وعلى أغلفة دواوين الشعر ، وكتب التاريخ والمصاحف .

حيث قام بعض المستشرقين بدراسات تحليلية حول مدارس المخطوطات المذهبة والفن التصغيري ببلاد الفرس والهند وتركيا وما خلفته من آثار ..... استطاعوا من خلال ذلك أن يميزوا عبقرية الحضارة الإسلامية ،وفي عهد العباسيين والتموريين والصفويين ازدهرت في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مراكز الفن الجزائري والبربري حيث زينت بدواوين الشعر وكتب التاريخ ".[1]

ونتج عن هذا التواصل الحضاري العربي نماذج فنية تشكيلية من خلال المنحوتات على الجبس وغيرها والزخارف الجميلة ،ويتجلى ذلك واضحا في مدننا الجزائرية من أثار أمثال سيدراته القريبة من عاصمة الجنوب ورقلة إحدى أهم معالم الدولة

[1] محمد راسم ،مقدمة احمد طالب الإبراهيمي، ش،و،ن،ت،الجزائر ،الطبعة الرابعة 1981،ص01.(بتصرف).

الرستمية في الجزائر .....وكذلك آثار مدينة بجاية وآثار مدينة تلمسان (منصورة) .قلعة المشور وباقي مدن الساحل الجزائري التي حط بها ترحال الفن الأندلسي.

وقد لا نبالغ إذ قلنا ، بان الباحث في التاريخ الوسيط يستند بالدرجة الأولى على علم الآثار الذي يمثل العمود الفقري في فهم التقدم البشري .

بعد دخول الإسلام إلى الجزائر حاملا معه الرسالة السماوية ، عمل الفاتحون على إنشاء حضارة إسلامية مستوحاة من الحضارات المتعاقبة في الجزيرة العربية ، والمشرق العربي كمصر والشام والعراق ، فأنشئوا المدن والقصور والمساجد على الطراز العمراني و الزّخرفي المشرقي خاصة دمشق وبغداد ، ويشهد على ذلك آثار سدراته بالقرب من مدينة ورقلة للحضارة الرومانية التي خلفها الرّستميون وما تحويه المتاحف الجزائرية من منحوتات زخرفية جصية جميلة لهذه الحقبة التاريخية .

كما كان للدولة الحماديَّة آثار في كلٍّ من بجاية وقلعة بني حمَّاد والدَّولة المرابطيَّة والمُوحّدية وبنو زيّان وبنو عبد الواد ، وماشيّدوه من آثار خالدة في الفن المعماري من قصور ومساجد وحصون .

إنَّ شخصية الفن الإسلامي ، والخصائص التي يتميّز بها قد حدَّدتها نظرة الدّين الإسلامي إلى التصوير ، وهي في عمومها تتسم بالتَّحفُّظ ، فنقول وباختصار بأنَّ علماء الإسلام والفقهاء ، انقسموا فيما بينهم بالنّسبة لإشكاليّة التصوير ، فالبعض ذهب إلى تحريم التّصوير إطلاقا خاصّة ما كان نحتا ، والبعض الآخر ذهب إلى الكراهية ،

والبعض الآخر ذهب إلى الإباحة ، وكل فريق يستند إلى نصوص مستمدَّة من الكتاب والسنَّة . ولاشكَّ أنَّ هذه النظرة المتحفِّظة إزاء التصوير أثَّرت أثراً كبيراً في ملامح الفن الإسلامي ، وشكَّلت سماته وخصائصه التي اشتهر بها.

ونلخّص أبرز سمات الفن الإسلامي فيما يلي :[1] استعمال المنظور الرّياضي ، البعد عن التَّجسيم ، التجريد والزَّخرفة ، والتنوُّع والوحدة .

ونتطرق أيضا إلى مجالات الفن الإسلامي وتنقسم إلى ثلاثة مجالات :

أ_مجال العمارة التي تنقسم إلى عمارة دينية (المساجد) . وعمارة عسكرية (القلاع والحصون) . وعمارة مدنية(القصور).

ب_ مجال الصناعات التقليدية والحرف اليدوية .

ج_ مجال التصوير .

يعتبر تاريخ الفتوح والجهاد من أهم الموضوعات في التاريخ الإسلامي عامة حيث يمثل أحداثه مساحة واسعة في المصادر التاريخية . حيث نشأت الدواوين في الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب نتيجة لاتساع الدولة واتصال المسلمين الفاتحين بالنظم الإدارية الفارسية والبيزنطية في الأقاليم المفتوحة . وفي

[1] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ، ص18

العصر الأموي شهدت الدولة الإسلامية عملية تعريب الدواوين عامة كانت تكتب باللغة الأجنبية المعروفة آنذاك .

الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة من أهمّ المصادر التي ينهل منها الفن الجزائري المعاصر ، فعلاوة على التأثيرات الغربيَّة في الفن التشكيلي الجزائري حيث اتجهت مجموعة كبيرة من الفنانين الذين يمارسون الفن على الطريقة الغربيَّة المعاصرة ، هناك مجموعة معتبرة من الفنَّانين الجزائريين يستلهمون فنَّهم مباشرة من الفن الإسلامي ، وأخصُّ بالذكر فنَّانو مدرسة المنمنمات الجزائرية .

وقد ورث الجزائر معالم معماريَّة وآثارا إسلامية عديدة نجدها قائمة هنا وهناك تظهر للعيان مدى ما وصلت إليه الدّولة الإسلاميَّة المتعاقبة على الجزائر من رقيٍّ وتقدُّم.

ولقد جاء المسلمون إلى أرض الجزائر منذ أربعة عشر قرنا [1]حاملين معهم الرسالة السماوية ، كما انه توجد مخلفات وآثار المدارس والجوامع لأنها تعكس المستوى الذي بلغته الحضارة الإسلامية الزيانية عمرانيا وفنيا وثقافيا ، خصوصا وان بعض هذه المنشات ما تزال قائمة ، تحتفظ بكتابات أثرية منقوشة تؤرخ لها.ولوحات وقفية (وثائق التحبيس) لا يمكن الاستغناء عنها في موضوع حضاري مثل موضوع المدارس ، وفي هذا الشأن قمنا بزيارات ميدانية للوقوف على هذه المعالم الأثرية عدة مرات ولكن في نفس الوقت نتأسف كثيرا على ضياع معظم هذه المعالم وان ما تبقى منها أصبح عرضة

[1] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ، ص18.

للإهمال ، إنما تهاونا من المصالح الوصية أو من عدم إدراك قيمتها الحضارية ، كشواهد مادية على إسهامات المغرب الأوسط في الحضارة الإسلامية .[1]

تعد الكتابات الأثرية بشقيها الكبيرين ، التذكاري والشاهدي ، من أهم المصادر بالنسبة للمستغلين بدراسة التاريخ والآثار والاجتماع والاقتصاد والثقافة ، ومن مميزاتها أنها تنقش على المباني بمختلف إشكالها ووظائفها ، كما تتصدر التحف الفنية المتنوعة معدنية كانت أو زجاجية وخزفية ورخامية وحتى على الأحجار والمخطوطات وغيرها .

فالكتابات الأثرية .بما تحتويه من أسماء وألقاب ووظائف وصيغ وشارات وتواريخ يصعب الطعن فيها بسهولة ، فهي تفيد في دراسة المجتمع من جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والفكرية وتصحح ما أهمله المؤرخون سهوا أو عمدا . [2]

وهكذا يعود الأندلسيون إلى أرض الجزائر بعد نكبة الأندلس ، ويسهمون بقسط وافر في ازدهار الفنون الإسلامية بالجزائر ، وقد استقرُّوا في العديد من المدن الجزائريَّة كالجزائر العاصمة ، البليدة ، المدية ، القليعة ، تلمسان ، وغيرها .

[1] صالح بن قربة _وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ،طبعة خاصة وزارة المجاهدين،الجزائر ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954,2007،ص74_120_124(بتصرف).

[2] صالح بن قربة ،وآخرون،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ،ص126.

العهد التركي :

وجاء الأتراك آخر الأمر 1518_1830م[1] ، وحملوا معهم عناصر جديدة من الفنون طعَّموا بها الفنون الإسلامية المعروفة في بلادنا . وقد تركوا آثارا معتبرة ، خاصة بالجزائر العاصمة نذكر منها : جامع سفير ، وجامع كتشاوة . والعديد من القصور المنتشرة بالقصبة نذكر منها قصر عزيزة ، قصر خداوج العمياء ، قلعة القصبة وقصر الدّاي وغيرها من الآثار الإسلامية التي ترجع إلى العهد التركي ، والتي لاتزال شامخة ، والتي أفلتت من الهدم الذي تعرضَّت له الكثير من الآثار الإسلاميَّة بالقصبة أثناء الفترة الاستعمارية .[2] كانت قسنطينة وتلمسان والعاصمة أهم المراكز الثقافية للبلاد ، وساهم الأتراك في إنشاء المزيد من المساجد والمدارس .

إن الفن الجزائري في مجال العمارة والخط والرسم . رغم كثرة المباني وجمالها وتنوعها فالعلماء الجزائريون لم يؤلفوا في هذا الفرع من فروع الفن ،فنجد في الكتب قد اكتفوا بالتاريخ ووصف البناء وصفا أدبيا . فإذا أرخوا مثلا :"لأعمال الباي محمد الكبير، قالوا انه بني المسجد الأعظم بمعسكر والمدرسة المحمدية وبعض الأضرحة والقباب على

[1] صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ، ص104.

[2] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر

الأولياء ، وإذا تحدثوا عن أعمال صالح بآي قالوا انه بني المدرسة الكتانية ومد الجسر المشهور ونحو ذلك "[1]

وتتمثل العمارة الجزائرية في المساجد ونحوها (الزوايا ، قباب أهل التصوف) والقلاع والجسور والثكنات .والدور والقصور وقد استمد البنات طريقتهم من حضارتهم. "فقد هاجر الأندلسيون أنفسهم إلى الجزائر وجلبوا معهم الصناعة والبناء فكان تأثيرهم عظيما ولاسيما في القلاع والثكنات ، وكانت البيئة وراء طريقة العمارة في الجزائر.

فالحرارة والبرودة وعدم ظهور المرأة هي التي أملت كثيرا من أساليب بناء المنازل والمساجد والزوايا ، وكان الغزو البحري وتعرض السواحل الجزائرية للهجمات المتكررة قد أملى طريقة بناء الحصون و المنارات للمراقبة والدفاع ، من جهة أخرى أدت وفرة الجنود العزاب إلى كثرة بناء الثكنات ولاسيما في مدينة الجزائر التي كانت تضم على الأقل ثمانية ثكنات كبيرة "[2]

الفسحة والأرضية الرفاهية والباحة التي تنصب فيها في العادة فوارة ، ولاحظوا أن كل هذا يليق بالطقس الحار، وأن الغيرة على المرأة قد أدت إلى قلة النوافذ في المنازل وندرة الشرفات التي قد تطل على الشوارع والمحلات العامة ، وغالبا ما تفتح النوافذ إذا وجدت من الداخل أما من الخارج فلا تفتح إلا في الحفلات ونحوها .

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الطبعة01 ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1998 ، الجزء الثاني 1500_1830.ص 445_446 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ص446.(بتصرف).

و "برع الصناع الجزائريون في بناء المساجد والقصور على الخصوص ، وأهم ما يميز المسجد الصومعة والمحراب والمنبر والعرصات ، وكانت الزرابي التي تفرش في بعض المساجد من النوع الجيد ، كما أن بعض المساجد مثل التي ذكرنا ، مبنية بالرخام والزليج المجلوب من الخارج ولاسيما من تونس وايطاليا ويضاف إلى ذلك الثريات الجميلة وقناديل الزيت والشموع في المناسبات الدينية ، أما في القصور فقد استعملوا النقوش الرشيقة والحدائق والمياه وتماثيل الحيوانات والفورات وبالإضافة إلى جلب المواد المرمرية الملونة والنقش في الأشكال الهندسية.

وقد انتشرت عند الحضر وأثرياء المدن والموظفين السامين وبعض رجال العلم عادة بناء الأحواش في بساتينهم التي يملكونها خارج المدينة ، وكانوا يزينونها بأنواع الأسلحة الثمينة وبعض الآلات الموسيقية والزرابي الرفيعة وجلود الحيوانات النادرة والتحف الفضية والذهبية والساعات.

ولاحظوا طريقة إعداد مواد البناء الواقية من الرطوبة والحرارة فوجدوا أن الجزائريين كانوا يمزجون رماد الخشب والجير والرمل ويخلطونها ثم يرشون عليها الزيت والماء في فترات معينة فتأتي من ذلك مادة بنائية جيدة تستعمل للأقواس والسقوف ونحوها من الأماكن التي يخشى منها ترسب الرطوبة وتقلبات الطقس أما الحصون والقلاع ونحوها فلم يكن يراعي فيها الذوق بقدر ما كانت تراعى فيها الصلابة والمقاومة .

و كان التفنن في الخط والكتابة من وسائل التعبير الجمالي في هذا العهد ، ففي الوقت الذي غاب فيه التصوير لعب الخط دوراً بارزا في إظهار المواهب الفنية المحلية[1]

إن الكتابة المنحوتة أو المنقوشة على جدران المساجد و أبوابها ومحاربيها ، وكذلك القصور ونحوها من المنشآت التي كانت تجمع بين الفن والخط والتصوير والنحت التي ذاع صيتها اليوم ، ومع ذلك فلا نجد تأليفا خاصا بهذا الفن من علماء الجزائر خلال هذه الفترة " أسرة ابن صار مشق التلمسانية " التي اشتهرت بهندسة البناء والنقش والخطوط ونذكر منها المعلم " أحمد بن محمد بن صار مشق " الذي بني جامع العين البيضاء في معسكر سنة 1175م ، والمهندس " الهاشمي بن صار مشق " الذي رمم جامع سيدي بومدين في تلمسان سنة 1208م ، وعرف عن فناني هذه الأسرة وخطاطيها محمد بن صار مشق الذي وجدت نقوشه على عدة أثار عمرانية وكان موجودا سنة 1164م.

ومن النقاشين أيضا الاصطا حسين وعلي بن محمد التونسي وأحمد بن عمر التونسي أيضا الذين وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة الخنقة .وكذلك إبراهيم الجر كلي الذي نقش الآيات المحفورة في جامع كتشاوة والمعلم البلايشي الذي نقش باب جامع علي بتشين .

[1] أبو قاسم سعد الله –تاريخ الجزائر الثقافي ص448.

ولم يكن الرسم منعدما كما اعتقد بعض الناس في وقت قريب . بل انه فناني هذه الفترة لم يجدوا تشجيعا كالذي وجده فنانو عصر النهضة في ايطاليا وغيرها ،مع ذلك استطاعوا التعبير بالوسائل المسموح بها دينيا وذوقيا .

وعلى كل حال نستطيع القول أن ما قيل عن الجزائريين أنهم لم ينتجوا في الفن لأن دينهم منعهم من ذلك ولم يفهموا في البعد وتناسق الألوان في اللوحة ، غير صحيح تماما . فقد عثر على لوحة رسمها بعض الجزائريين بطلب من حسين بشا .وهي تصور المعركة التي جرت بين الجزائريين والانجليزي في سنة 1824،وكان الباشا قد وضع اللوحة في قصره حيث ظلت إلى أن جاء الكونت دي بورمون ،قائد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830،فأخذها وسلمها إلى قائد أركانه تولوزي .أما اللوحة الأصلية فلا ندري الآن ما مصيرها " .[1]

عرفت هذه الفترة " الفن التصغيري " والفن الزُّخرفي في المساجد والقصور وكتب التاريخ الدواوين والمصاحف مستعينين في ذلك بحرفيين من الفرس واليونان .[2]

نستطيع تلخيص دراسة الصيرورة التاريخية في الجزائر بطريقة أكثر وضوحا ، فلقد تعاقب عليها العديد من الشعوب والأمم والأجناس منذ فجر التاريخ إلى غاية عصرنا الحالي ، كان لكل منها تأثيره الثقافي والحضاري ، وأثبتت الدراسات التاريخية في الجزائر

[1] أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ص449.

[2] محمد راسم ، مقدمة أحمد طالب الإبراهيمي ، ص01.

، أن الأمازيغ هم السكان الأوائل والأصليون الذين قطنوا هذه البلاد ويرجع ذلك إلى العهد الضارب في القدم .

ولكن هذه البلاد لم تلبث أن عرفت تدريجيا مجيء ونزوح العديد من الشعوب المهاجرة منها والغازية فقد أتى الفينيقيون وبنو الموانئ واستقروا على العديد من الشواطئ واحتكوا بالسكان الأصليون كانت تعرف بمملكات الموريتانيين، وبعدها بدأت حقبة أخرى هي فترة الرومانيين وكان قدومهم حوالي القرن الثاني قبل الميلاد ولم تتم السيطرة الكلية على إفريقيا قبل بداية القرن الأول للميلاد وكان لهم الأثر في تغيير أنماط الحياة من كل الجوانب ، وأتبعهم البيزنطيين الذين نقلوا الديانة المسيحية إلى المنطقة وبقيت هذه البلاد إلى أمد بعيد تحت سيطرة الغزاة حتى مجيء العرب بالفتوحات الإسلامية فاحتك بهم سكان البلاد ، وأخذوا عنهم الكثير من عاداتهم واعتنقوا الديانة الإسلامية ، وتعلموا لغتهم العربية ،وانصهروا فيما بينهم مع مرور الزمن ، وكانت هذه لفترة هامة في تغيير أنماط الحياة وخاصة الفنون التي تبدوا جليلة في المدن والقرى والمساجد التي كانت رمز الديانة الإسلامية ،بقي الحال كما هو عليه إلى غاية القرن التاسع عشر ،أين سقطت الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي سنة 1832م،هذا الأخير الذي استمر تواجده لمدة قرن واثنين وثلاثين سنة ، هو الذي سيكون فيما بعد الأثر البالغ في ثقافة الشعب وثقافة الدولة الجزائرية المستقلة .[1]

[1] متاحف الجزائر من الماضي ،سلسلة الفن والثقافة ،مدريد،ديسمبر1971،ص8_9.

المبحث الثاني : الثورة في الرّسم الاستشراقي .

في الوقت الذي كان يمكن فيه للثقافة العربية أن تحرر وتنتج لاتصالها بأوروبا في فاتح القرن الماضي واجه الجزائريون الاحتلال الفرنسي ، الذي نزل عليهم كما يقول حمدان خوجه كحمل من رصاص .فنزح الأدباء والعلماء إلى المشرق وبعثرت الأسر والمكتبات ، وحوربت لغة التعليم وأغلقت المدارس العربية .وهكذا شهدت الجزائر نكسة عميقة أدت إلى تأخر الدراسات العربية فيها .

و" تسارعت السلطات الاستعمارية إلى وضع يدها على كل المخطوطات والوثائق العثمانية وكل ما يتعلق بالمجتمع الجزائري ثقافته ودينه وتاريخه .....الخ .

وضعتهم تحت تصرف المستشرقين ، الذين عملوا كل ما في وسعهم من أجل دراسة وتحليل وترجمة الإرث والرصيد الثقافي وجمع كل المعلومات حول طبيعة المجتمع الجزائري ،حيث بذل المستشرقين كل مجهودهم الفكري وقدموا كل ما لديهم من اجل لتغلغل وسط المجتمع الجزائري والتحكم فيه والسيطرة عليه،فاتجهوا إلى الأفراد والجماعة ،والأخلاق والآداب ،والعلوم والدين ،والآثار والفنون بما فيها الفن الإسلامي ، واختصوا أيضا بدراسة كل الظواهر والمعايير الفنية وقيمتها الفلسفية ، وأنماطها المختلفة ومدارسها

بالإضافة إلى مشكلة التصوير في الإسلام وبشتى أنواعه التطبيقية من حفر على الخشب والحجر والجص والزجاج والعظام .....وغيرهم."[1]

كما "عمل المستشرقون على تسويق القيم الحضارية الأوروبية بمختلف صورها وأنماطها وأفكارها الإباحية وسط المجتمع الجزائري المتحفظ والإسلامي ،حيث حاولت السلطات الفرنسية الظهور بمظهر الشخصية المتحضرة التي تحاول إخراج الجزائر من التخلف الذي كان نتيجة الخلافة العثمانية .كما عملوا على عزله عن العالم الغربي الذي كان يخطوا خطوات عملاقة نحو التقدم الحضاري والتطور الصناعي ، وكان ذلك مبررا لوجوده كاحتلال والتحكم وتسخير كل قوته في جميع الميادين ، من اجل محاولة طمس معالم الشخصية والحضارية ومحاربة انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي ، ولأجل ذلك جندوا فئة من الفنانين التشكيليين الذين دخلوا الجزائر من اجل خدمة الأهداف الاستعمارية وتعزيز وتبرير التواجد العسكري ،فاجتهدوا كثيرا من اجل خلق ذوق فني جديد وسط المجتمع الجزائري الذي له حضارة وثقافة مغايرة لثقافتهم وحضارتهم الغربية .

هنا نرى أن فترة الاحتلال تميزت بالمحاولة هذا الأخير بالسيطرة على المجتمع الجزائري من كل النواحي بما فيها السطو على الفكر الفني وغرس الأفكار الغربية داخل المجتمع الجزائري المسلم بالاستعانة بفنانين أوروبيين مستشرقين حولوا الفن الإسلامي المحافظ إلى فن جزائري بأفكار غربية منافي تماما لعادات وتقاليد المجتمع العربي

[1] إبراهيم مردوخ ،مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ص74.

،ومحاولة توظيف فكرة أن المستعمر الفرنسي أتى إلى الجزائر كمخلصه من التخلف وكمصلح أحوال هذا المجتمع ".[1]

سارع الفرنسيون منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر إلى نهب وسرقة المخطوطات والوثائق المتعلقة بالثقافة الجزائرية ، إما بنقلها إلى المتاحف الفرنسية أو وضعها تحت تصرف المستشرقين ، للدراسات والترجمات من أجل كشف طبيعة المجتمع الجزائري بغرض صَهره ثقافيا واجتماعيا في الدولة الفرنسية .

كما عيين المستشرقون في المناصب الإدارية المختلفة لتسيير شئون فرنسا ،في جميع الميادين الاجتماعية والثقافية ، على مستوى المؤسسات التربوية والثقافية والعلوم والهندسة ليكون ، لهم لمستهم التأثيرية الغربية في المشاريع الحضارية ، ومحاولة طمس معالم الحضارة الإسلامية، وتعويضها تدريجيا بالمعالم الأوروبية المسيحية الغربية ، مما حول مناطق شمال إفريقيا المستعمرة ،وجهة لهجرة المستشرقين واكتشاف آثار الحضارة الشرقية في هذه المنطقة ، والمساهمة في الاقتباس منها أو تحويرها .

"عرفت هذه الفترة بروز مجموعة من الفنانين التشكيليين الفرنسيين الذين حلوا بالجزائر من نهاية القرن 19م إلى بداية القرن العشرين على شكل مجموعات من الوافدين إلى الجزائر ،مهتمين برسم مظاهر الحياة الشعبية المتميزة بالعادات الشرقية ،وقد أطلق

[1] إبراهيم مردوخ ،مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ص74.

عليهم اسم" الفنانين المستشرقين " يمثلهم كل من دولا كروا ، شاسيريوا ، فرومنتان ،دينيه في وقت لاحق ".[1]

وفي الفترة اللاحقة ظهر إلى الوجود فنانون فرنسيون أو من أصل أوروبي ولدوا بالجزائر واستقروا بها . وبالرغم من استقرارهم بالجزائر إلا أن علاقتهم كانت وطيدة بفرنسا ، حتى أن رحلاتهم كانت منتظمة إلى فرنسا للاحتكاك بالمدارس الفنية الحديثة، حيث كانت باريس في بداية وأواسط القرن العشرين عاصمة الفن التشكيلي في العالم ،فقد وفد إليها الكثير من الفنانين العالميين الذين عملوا واستقروا بها مثل الفنان الهولندي فان غوخ ،والايطالي مد لياني والاسبانيان دالي وبيكاسو .

واقتصرت مواضيع الفنانين الأوروبيين بالجزائر نهاية القرن 19 على رسم الحياة الشعبية ، والعادات والتقاليد للشعب الجزائري وخير مثل لذلك أعمال الرومانسيين المنتمين إلى مدرسة الاستشراق ، مثل دولا كروا في لوحة (امرأة عربية جالسة على الأرض ،و (فارس عربي في النبع)لشاسيريوا. ولوحة (جنازة رجل مورس كي) لفرومنتان .[2]

و " لم تتعرف الساحة الفنية التشكيلية بالجزائر طول الفترة الاستعمارية من 1830الى 1962 إلا على النزر القليل من أسماء الفنانين الجزائريين ، فقد كان الجزائريون غائبين على الساحة الفنية التشكيلية ،بحيث كانت حكرا على أبناء الأوروبيين

[1] إبراهيم مردوخ ،مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ص74.

[2] إبراهيم مردوخ ،لمحات عن الحركة التشكيلية بالجزائر ، وزارة الثقافة ،الفن التشكيلي الجزائري (عشرية76و80) ،الجزائر2007..ص 76.

من معمرين وغيرهم . ومع هذا فقد برزت إلى الوجود أسماء بعض الجزائريين استطاعوا أن يفرضوا فنهم وان يكون لهم حضور على الساحة الفنية .فقد عرفت الجزائر في الفترة مابين 1914الى الأربعينيات من القرن العشرين مجموعة صغيرة من الفنانين التشكيليين يعدون على الأصابع ،إما من الدارسين بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة أو المراسم ،أو من الفنانين العصاميين المتأثرين بالجو الفني السائد آنذاك" . [1]

نفهم من هذا أن الفن في فترة الاستعمار كان حكرا على أبناء الأوروبيين إلا أن طبيعة التحدي لدى الجزائريين قاومت هذا الظلم بالسلاح أولا ، وبالإبداع ثانيا ، فرغم ذالك فرض بعض أو نقول القلة القليلة من الفنانين الجزائريين أنفسهم على الساحة الفنية.

من المهم أن نتعرف على أفكار الفنان الجزائري عن الثورة ، حيث كان الفن أثناء الاستعمار مقتصرا على طبقة معينة ، مكونة من أبناء المعمرين ، ولم يكن للجزائر المكونات اللازمة لممارسة هذا الفن . وأغلب الفنانين الذين وجدوا أثناء الثورة تكونوا بوسائل خاصة . والمواضيع التي تناولها الفنانون الأجانب في الجزائر ذلك الوقت ، مواضيع تقليدية ، أغلبها مناظر طبيعية ، والطبيعة الصامتة . نظرا للوجود الاستعماري الذي لا يتقبل المواضيع الإنسانية أو التحررية ، ورغم ذلك نجد فنانا جزائريا هو محمد راسم ، استطاع أن يفرض نفسه وفنه ، ويبتكرا فنا جزائريا إسلاميا . ويجاهر بلوحاته عن تعلقه بوطنه وماضيه المجيد ، داعيا ومبشرا بالثورة ، ووجوب مكافحة المستعمر الأجنبي

[1] إبراهيم مردوخ ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1988، الجزائر ، ص41 .

، ونرى ذلك في لوحاته المختلفة ، خاصة لوحة (معركة بين الأسطول الإسلامي ، والأسطول المسيحي) وغيرها . انه يدعو إلى ذلك في عبارات مختلفة ، نجدها مكتوبة على العلم المرفرف أو في إطار اللوحة ، أو في زاوية سرية في اللوحة ، ومن هذه العبارات نستطيع أن نقرأ (الجنة تحت ظلال السيوف) (الحرية ثمرة الصبر والثبات والشجاعة) (نصر من الله وفتح قريب) ، ولا ننسى الفنان عمر راسم ومواقفه الشجاعة ، حيث سخر فنه لمقاومة الاستعمار ، فقد أصدر العديد من الصحف الوطنية التي كان يرسمها ويكتبها بخط يده ، والتي كان يفضح فيها الأساليب الاستعمارية بكل شجاعة وثبات . وما أن اندلعت الثورة حتى سكت الجميع ونطق الرشاش ليحقق آمال الشعب ويصدق بشارة الكاتب والصحفي والرسام . الذين كانوا يدعون إلى الثورة بالكتاب الوطني والصحيفة الحرة واللوحة المعبرة . وعند بزوغ فجر الاستقلال برزت مدرسة التصوير الجزائري إلى الوجود باتجاهاتها المختلفة .

وعندها رجع للفنان الجزائري اعتباره فعبر بحرية تامة وبأساليب مختلفة كالواقعية والتكعيبية والتجريدية وغيرها ، عبر عن مختلف المواضيع وخاصة منها الثورية معبرا عن تمجيده للثورة الجزائرية الفريدة من نوعها في العالم ، ومتمشيا مع السياسة التحريرية التي تسلكها حكومة . فنجد لوحة الفنان فارس بوخاتم الذي تعلم فن الرسم وهو جندي في صفوف جيش التحرير ، لوحاته معبرة عن الأحداث المختلفة للثورة وعن الآلام التي ذاقها شعبنا أثناء الكفاح على يد المستعمر .انه يرسم مختلف الوقائع كحادثة " ساقية سيدي يوسف "

وتشكيلات جيش التحرير المكافحة في الجبال وهي تتصدى للعدو بأسلحتها وإيمانها بالنصر ، كما رسم اللاجئين وعبر عن آلامهم و ثم العودة وفرحة اللقاء . ونجد فنانين آخرين استطاعو التعبير عن الثورة بلوحاتهم ومواضيع أخرى تتعلق بالكفاح ، مثل : الفنان (اسياخم) الذي تميزت شخصياته بالألم الفاجع وكذلك حميد عبدون الفنان الذي استطاع أن يبرز إلى الوجود بعد كفاح طويل وأن يكون لنفسه طريقة رمزية خاصة به دون أن يتعلم في أي مدرسة للفنون . ونجده يتناول هذه المواضيع الثورية في لوحاته : (الاوركسترا الامبريالي) ، (5 جوان) ، (فلسطين) ، والفنان عبد القادر هوامل الذي أتم دراسته الفنية في روما والذي تحدث في لوحته عن المظاهرات الوطنية ، وتناول قضية التمييز العنصري في جنوب إفريقيا وفي أمريكا بلوحته المشهورة " المسيح الأسود". وإبراهيم مردوخ ولد الأستاذ في 1938[1] بالقرارة بالجنوب الجزائري ، تخرّج من كلية الفنون بالقاهرة ، اشتغل بالتفتيش في حقل التربية الوطنية ، وتقلد منصب مدير الثقافة بولاية ورقلة . شارك في معارض عديدة فردية وجماعية ، ويعود له الفضل في وضع كتاب قيم بعنوان " الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر " ولعله أولى المؤلفات بالجزائر الحديثة ، الذي يبحث موضوع الحركة التشكيلية والفنية بالجزائر ، باللغة العربية يعود له.

[1] الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ،2002 م ، ص 88.

المشهور بلوحاته الواقعية كلوحة : (مناظر من ثورة التحرير) [1](الشهيد) ، (أرملة الشهيد) [2]، (اللاجئ) التي ربط فيها بين الثورة الجزائرية وثورة فلسطين .

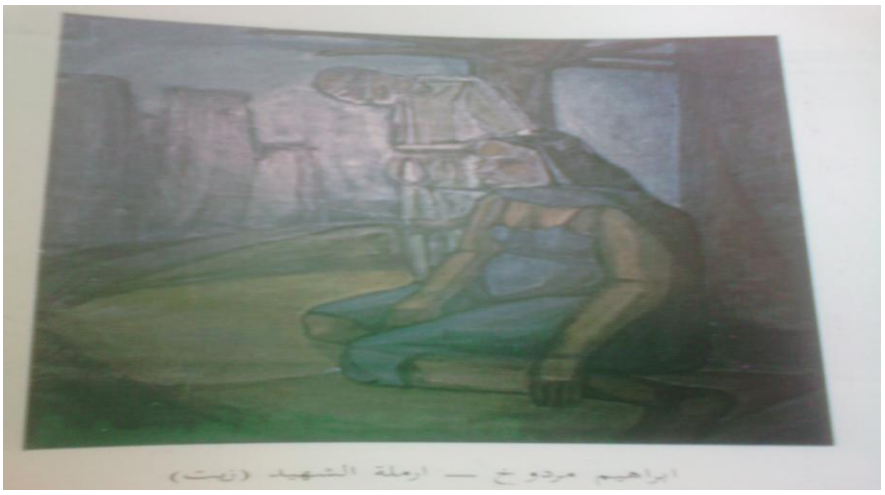

الشكل رقم (06). لوحة " أرملة الشهيد (زيت) لإبراهيم مردوخ .

الشكل رقم (07). " مناظر من ثورة التحرير " لإبراهيم مردوخ

[1] أنظر الشكل رقم (06).

[2] أنظر الشكل رقم (07).

ومن الذين تناولو موضوع الثورة في أعمالهم : اسماعيل صمصوم الفنان المشهور بتكعيبيته الفسيفسائية وله لوحة جسد فيها ثورة نوفمبر في شكل شاب قوي (رجل أول نوفمبر) . ومن الفنانين الجزائريين الذين أخلصوا لموضوع الثورة نذكر الرسام محمد عويس فقد كان يرسم على الورق أثناء اعتقاله أيام الكفاح المسلح في مختلف السجون ابتداء من سنة 1961.وقد كان يرسم في هذه الأعمال الكثير من ذكريات الثورة وخلد العديد من الشهداء الذين بذلوا دماءهم سخية لتحرير الجزائر .

ونذكر من نفس المجموعة الرسام عبد العزيز رمضان الذي تنقل في العديد من السجون أيام الثورة مثل : بوميت _ بارباروس _ بني مسوس _ تي فشون والدويرة . فقد أنتج العديد من الأعمال التي أطلق عليها أسماء المعتقلات التي تنقل بينها .[1]

كما أنه لا يمكننا أن نغض البصر عن بعض الفنانين الفرنسيين لأن الجيش الفرنسي صاحب في حملته مجموعة من الجنود والضباط العسكريين الرسامين الذين كانوا يعملون كمراسلين حربيين ويرسمون المعارك التي يعيشونها ، وما كانوا يشاهدونه يوميا من مناظر مختلفة .

وقد كانت رسومهم التسجيلية في أغلب الأحيان منفذة بالحبر الصيني أو الألوان المائية أو المطبوعة عن طريق الحفر بمختلف تقنيات " لينو أو ليتو " ، وكانت منفذة لأغراض عسكرية ، وقد تخصص هؤلاء الرسامين في رسم المعار الحربية التي

[1] إبراهيم مردوخ ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر ، ص41_42_43.

كانت تصور الهجمة الفرنسية والمقاومة الجزائرية ، ومختلف المعارك مع المقاومين الكبار والمجاهدين ، ومختلف الثورات .[1] وبالمقابل وبعد الاستقلال قامت الجزائر بإنشاء متحف الجيش الوطني الشعبي ، وعهدت إلى مجموعة من الرسامين بتصوير لوحات تمجد فيها المقاومة البطولية للشعب الجزائري .

"عرفت هذه الفترة بروز مجموعة من الفنانين التشكيليين الفرنسيين الذين حلوا بالجزائر من نهاية القرن 19م إلى بداية القرن العشرين على شكل مجموعات من الوافدين إلى الجزائر ،مهتمين برسم مظاهر الحياة الشعبية المتميزة بالعادات الشرقية ،وقد أطلق عليهم اسم" الفنانين المستشرقين " يمثلهم كل من دولا كروا ، شاسيريوا ، فرومنتان ،دينيه في وقت لاحق ".[2]

_ ونذكر من بين الفنانين المستشرقين :

ومن فناني الجزائر الذين اتخذوا موضوع الثورة الجزائرية موضوعا أعمالهم ، الفنان نصر الدين دينيه هو مستشرق فرنسي الأصل ومصور ولد في (28 مارس 1861م) ، سحرته طبيعة الجزائر ، وأبهرته طيبة سكانها ،فراح يبحث عن حياة الجزائريين ، مفكرا ومتأملا في عقيدتهم وحياتهم الاجتماعية كان يفضل الجنوب الجزائري الذي يتميز بحراء

[1] ابراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي في الجزائر ، ص59

[2] إبراهيم مردوخ ،مسيرة الفن التشكيلي في الجزائر ،ص74.

واسعة ، أعجب بها الفنان دينيه ، جذبته مدينة بوسعادة أو مدينة السعادة كما كان يسميها هو ، الواحة الصغيرة التي تبعد عن الجزائر 150 كلم ،

و لعل أشهر لوحاته التي خدم بها قضية الثورة في بلادنا لوحة (الكمين)[1] في بوسعادة ، الموجودة بالمتحف الفرنسي في باريس منذ 1885م . حيث شهدت منطقة بوسعادة إبان الثورة التحريرية الكبرى عدة معارك ، لهذا نجد نصر الدين دينيه ينقل لنا المعركة في مشهد رائع ،في منطقة صحراوية ، ففي اللوحة ثلاثة لرجال ، مخبئون في مكان لا يراهم فيه العدو ، ويراقبونه ، مستعدون للهجوم ، فهناك رجل يحمل بيده بندقية ، ورجل يضع يده على جبهته ليرى بشكل أبعد ويرصد لهم ما يشاهده ، الثلاث رجال الكل في وضعية مختلفة عن الآخر . والزي الذي يرتدونه لباس تقليدي عبارة عن برانيس قديمة تدل على معاناة الشعب من الفقر والقهر والظلم . من ويلات الحرب الفرنسية. وكما نرى من ورائهم جبال ، والتي ترمز للأمل بالحياة والثبات من أجل الحرية والتحرر من الظلم القاهر .

وفي عمل آخر يبرز ميل الفنان إلى المجاهدين حيث نرى في لوحة مشهد(الوداع)[2] مجاهدا وهو يعانق أباه مودعا له بحميمية حيث لا يدري هل سيعود مجددا لرؤيتهم أم سيستشهد في الجهاد؟

[1] أنظر الشكل رقم (08)

[2] أنظر الشكل رقم (09)

الشكل (08) لوحة للفنان تمثل مجاهدين يحملان جريح.

الشكل (09) يمثل لوحة للفنان " الكمين".

ولوحة (مجاهد) يحمل بندقية في الصحراء ، يوحي وجهه إلى الاستعداد والتربص للعدو، متصببا عرقا تحت أشعة الشمس الحارقة ، وكل هذا في سبيل الجهاد والحرية .

كما أنجز عملا جسد فيه روح التآزر بين المجاهدين ، في مشهد جنديين يحملان أخا لهما جريح في وسط طبيعة صخرية وظروف قاسية ، مما يدل على تعاون وتآخي المجاهدين فيما بينهم وأبرز لنا من خلال هذه اللوحة تجسيد الأخلاق الإسلامية فيما بين المجاهدين .[1]

02 _ أوجين دولاكروا FERINAND VICTOR EUGENE DELACROISC :

فرنسي الأصل ولد يوم 26 أفريل 1798 ، وتوفي 13 أوت 1863[2] بباريس ، رسام من رواد المدرسة الرومانسية ، له العديد من اللوحات الفنية المحفوظة في متحف اللوفر ، ومن أشهر لوحاته : " الحرية تقود الشعب " والتي رسمها عام 1830.

03 _ أوجين فرومنتا EUGENE FROUMENTA

ولد سنة 1820 في لاروستيل LA ROCHELLE وتوفي في سان موريس ST MAURICE سنة 1876 ، هو من أبرز الوجوه الفنية في تاريخ الاستشراق الفني ، وأول زيارة قام بها إلى الجزائر من 13 إلى 18 مارس 1846 ، وله عدة لوحات

[1] أنظر الشكل رقم (09)

[2] الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ،2002م ، الجزائر ، ص28.

يتبين فيها مدى إعجابه بالطبيعة الجزائرية مثل لوحة مسجد قرب الجزائر ، " مناظر من الشرفة " ، " شارع من الأغواط " ، كما يحتفظ المتحف الوطني للفنون الجميلة في الجزائر بالعديد من أعماله منها : (تذكار الجزائر) .

04_ تيودور شاسيريو TIAUDOURE CHAIEREOU :

ولد سنة 1819 م وتوفي في باريس عام 1856 م . وفي 1833 شارك في مدرسة الفنون الجميلة بباريس ، وفي 1840 م التحق بتيار دولاكروا ، أي التحق المدرسة الرومانسية ، سافر إلى قسنطينة أقام فيها عدة أسابيع سنة 1846 م ، قام برسم صورة شخصية لحاكم قسنطينة آنذاك ، وقد قام المتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر 1936 م معرض خاص بالجزائر والتي يحتفظ بها .

05 _ بيير أوجنيست رينوار PEIRRE AREIGUSTE RENOIR :

ولد في 25 فبراير 1841م ، وتوفي في ديسمبر 1919 م ، رسام فرنسي ، وهو من رواد المدرسة الانطباعية ، زار الجزائر عام 1881 م ومن أشهر لوحاته "ميناء الجزائر " .

06 _ هنري ماتيس HENRI MATISSE (1869_1954م) :

وهو رسام فرنسي ، من كبار المدرسة الوحشية ، وتأثر بالفن الإسلامي ، والتحق بعدها ، ألفونس إتيان دينيه الذي حل بالجزائر سنة 1884 ، الذي تأثر بالحياة الجزائرية .

نقول عن الحقبة الثانية ، المتمثلة في حقبة الرسم الاستعماري . وتشمل النصف الأول من الاحتلال إلى غاية الاستقلال انه "لم تتعرف الساحة الفنية التشكيلية بالجزائر طول الفترة الاستعمارية من 1830الى 1962 إلا على النزر القليل من أسماء الفنانين الجزائريين ، فقد كان الجزائريون غائبين على الساحة الفنية التشكيلية ،بحيث كانت حكرا على أبناء الأوروبيين من معمرين وغيرهم . ومع هذا فقد برزت إلى الوجود أسماء بعض الجزائريين استطاعوا أن يفرضوا فنهم وان يكون لهم حضور على الساحة الفنية .فقد عرفت الجزائر في الفترة مابين 1914الى الأربعينيات من القرن العشرين مجموعة صغيرة من الفنانين التشكيليين يعدون على الأصابع ،إما من الدارسين بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة أو المراسم ،أو من الفنانين العصاميين المتأثرين بالجو الفني السائد آنذاك" . [1]

ونذكر من هؤلاء حسب التسلسل الزمني كل من : أزواو معمري .عبد الحليم همش. عبد الرحمان ساحولي . محمد زميرلي .احمد بن سليمان . عبد القادر فراح . حسن بن عبورة وغيرهم .

[1] إبراهيم مردوخ ،لمحات عن الحركة التشكيلية بالجزائر ، وزارة الثقافة ،الفن التشكيلي الجزائري (عشرية 70و80) ،الجزائر 2007،ص 12.

"والملاحظة العامة هي أن الفنانين الجزائريين في فترة النصف الأول من القرن العشرين قد ساد بينهم بصفة عامة الأسلوب الواقعي ، فقد كانوا يرسمون مختلف المناظر الطبيعية بالجزائر والحياة الشعبية الجزائرية بأسلوب واقعي متأثرين في ذلك بالفنانين المستشرقين وبالأسلوب السائد آنذاك بين الفنانين الفرنسيين والأوروبيين الموجودين بالجزائر ،كما أن القليل من هؤلاء الرسامين كانوا يرسمون بأسلوب فطري مثل باية محي الدين ،حسن بن عبودة ."[1]

وعموما كان الاستشراق في طابع (الفَلْكَلَرَةُ)

FOLKLORISATION تقرأ على أنها تمظهر للهوية الجزائرية تميز رسمهم بالطابع الأكاديمي الفلكلوري الواقعي .

وفي الفترة مابين 1914 إلى 1920م ظهرت مجموعة من الفنانين ، ويمكن أن نطلق عليهم اسم " الرواد الأوائل " [2]. وهم :

إزواو معمري : الذي ظهر ابتداء من سنة 1916 ، وقد تتلمذ على يد الفنان الفرنسي إدوارد هرزيق Edouard Herzig.

وفي سنة 1928 شهدت الساحة الفنية ظهور فنان آخر وهو " عبد الحليم همش " الذي تخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر .

[1] إبراهيم مردوخ ،مسيرة الفن التشكيلي في الجزائري ،ص83.

[2] بوزار حبيبة ، مكانة الفن التشكيلي في الجزائر ، رسالة دكتراه ، جامعة أبو بكر بلقايد ، ص19 .

وابتداء من سنة 1920 بدأ الرسام عبد الرحمان ساحولي أمد الله في أنفاسه ، المشاركة في المعارض الفنية ، ويعمل كرسام مزخرف ، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر ، ومن المراسم الفرنسية المنتشرة بالجزائر في ذلك الوقت .

وفي الفترة الممتدة ما بين الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ظهرت إلى الوجود مجموعة من الرسامين الجزائريين نذكر منهم كل من : محمد زميرلي ، أحمد بن سليمان ، عبد القادر فراح ، ميلود بن كرش ، باية محي الدين ، وحسين بن عبورة .

والفنان بشير يلس الذي درس كذلك بمدرسة الفنون الجميلة بالجزائر على يد الإخوة راسم.

وقد مر الفنان علي خوجة بنفس ظروف يلس ، وينتمي إلى نفس هذه الفترة " فترة الخمسينيات " الرسام محمد بوزيد الذي اهتم في أعماله بإظهار الحياة اليومية بالريف الجزائري ، وخاصة منطقة القبائل ، بأسلوب شبه تجريدي جميل .

شكري مصلي فقد درس الفن بمدرسة الفنون الجميلة بالجزائر كما يعتبر من مؤسسي حركة الأوشام ، ومن فناني فترة الخمسينيات من القرن العشرين كل من : أحمد قارة ، محمد الواعيل ، ويعتبران أيضا من الفنانين المحسوبين على الأسلوب التجريدي .

ونقول أنه " لقد كان هؤلاء الفنانين من فترة الخمسينيات متأثرين إلى حد بعيد بالاتجاهات الفنية الحديثة في الرسم وخاصة التجريد وشبه التجريد ، وقد كانوا يقيمون المعارض في فرنسا وفي أوروبا ."[1]

في الفترة من سنة 1950 إلى سنة 1962 ، السنة التي تمكنت فيها الجزائر من افتكاك حريتها ، ظهر إلى الوجود مجموعة لا بأس بها من الرسامين الذين كانوا يعيشون في أغلبهم في فرنسا ، وهم كل كم : عبد الله عنتر ، عبد القادر قرماز ، محمد اسياخم ، محمد خده ، بشير يلس وأحمد قاره .

بعد دراستنا للفن أثناء الاحتلال الفرنسي وعن الفنانين الذين عاشوا أثناء هته الفترة الزمنية يستوجب علينا أن نذكر من الفنانين الذين عاشوا أواخر الفترة الاستعمارية ثم فترة الاستقلال والذين أطلق عليهم اسم " الفنانون المخضرمون ". وقد أصبح هؤلاء رواد الفن التشكيلي الجزائري ، حيث أنهم فرضوا أنفسهم على الساحة الفنية بداية الاستقلال كما أنهم عملوا على نشر الثقافة الفنية التشكيلية في الأجيال الأولى بعد الاستقلال بتأطيرهم للشباب وتعليمهم بالمدارس الفنية كالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة وجمعية الفنون الجميلة بالجزائر بالموازاة مع ذلك كان لهم الأسبقية في التصوير والرسم الفني والزخرفة ." [2]

[1] [1] بوزار حبيبة ، مكانة الفن التشكيلي في الجزائر ، ص20.

[2] إبراهيم مردوخ ، لمحات عن الحركة التشكيلية بالجزائر ، ص14.(بتصرف).

وكان ظهور هؤلاء الفنانين في الفترة الممتدة من 1950الى 1962ونذكر من هؤلاء كل من محمد تمام ، عبد الله بن عنترة ،عبد القادر قرماز ،أمحمد اسياخم ،محمد خدة ،محمد بوزيد ،بشير يلس ،علي خوجة شكري مصلي ،احمد قارة ،محمد الواعيل وغيرهم ، ونستطيع أن نطلق عليهم لقب الفنانين المخضرمين ، لأنهم عايشوا الفترتين الاستعمار والاستقلال ، وهم كذلك يعتبرون رواد الفن التشكيلي بداية الاستقلال .

وكما برز رجال عديدون في المجالات الفكرية ة و الإصلاحية والأدبية ، برز رجال سلاحهم الريشة والقلم ، ويأتي في مقدمتهم المناضل المبدع محمد راسم صاحب مدرسة تجديد الرسم التصغيري أو المنمنمات (Miniature) في الجزائر وقد لا نبالغ إذا زعمنا ، أن هذا الفن لم يهتم به في الوطن العربي الحديث ، مثلما اهتم به في الجزائر ، من خلال ما قدمه " راسم " من انجازات أعادت للمنمنمات ، بوصفات فنا عربيا و إسلاميا محضا ، قيمتها ووضعتها على طريق متقدمة ، من الاهتمام والخلق .

_ الفنانون المحليون :

محمد راسم : هو الفنان بن علي بن سعيد بن 24 جوان سنة 1896 / 1314 هـ [1] ، بحي القصبة الجزائر ، وقد اهتم منذ نعومة أظافره بفن المنمنمات .

[1] أحمد باغلي ، محمد راسم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب1984 ، الجزائر ، ص 13 .

اقتنع محمد راسم أن المقاومة الجزائرية ، يمكن كذلك خوضها من الجهة الفنية ، لهذا السبب حاول جاهدا ، أن تحمل انجازاته علامات الإبداع العظيمة والفخر ، وكما كانت يريدها بعد استعادة استقلالها ، كان يريد أن يوقظ كرامة الشعب الجزائري ، وأن يثير غيرته وجدارته وحنينه على وطنه الجزائر ، ألى لقاء شعبه ووطنه في سبيل تصحيح تاريخها الذي حرقه الاستعمار . وترك العديد من اللوحات الفنية الموجودة بالمتحف الوطني لفنون الجميلة بالجزائر ، وفي العديد من متاحف العالم ، ويتمثل أعظم إنجاز له في تزيين كتاب " ألف ليلة وليلة " ومن لوحاته " منمنمة الفارس " و" منمنمة خير الدين باربا روس " . و" معركة بحرية " وهي تجسد مشهدا من معركة بين الأسطول الإسلامي متمثلا في الدولة العثمانية ، والأسطول المسيحي الذي يصور فيها البطولة التي يمتاز بها رياس البحر الجزائريين في معاركهم البحرية مع الأساطيل الأوروبية .

" رؤية راسم للتراث لم تكن رغبة ذاتية لانتزاع حضور فني متفرد ، فهو المدرك لاستحقاقات ضرورة مرحلة تاريخية تحيا فيها العلاقات المتواصلة بين معطيات الحاضر وإرث الماضي وفق منهج جديد يشرع أبواب انطلاق حركة التحرير الوطني . "[1]

وساهمت الثورة التحريرية في تكوين فنانين من بين أبنائها الذين كانوا أثناء فترة الكفاح جنودا في صفوف جيش التحرير الوطني . ونذكر من بين هؤلاء ، الرسام فارس بوخاتم . ولد سنة 1941م بولاية الطارف ، عصامي التكوين ، يعتبر من الفنانين الذين

[1] عبد الرحمان جعفر الكناني ، منمنمات محمد راسم الجزائري ،(روح الشرق في الفن التشكيلي العالمي)، منشورات الإبريز ، دراسة فنية ،مطبعة الديوان ، د ط ، 2012م، وزارة الثقافة _ الجزائر ، ص15.

وظفو الريشة خلال حرب التحرير الكبرى 54_62 ضد المحتل ، مثّل الجزائر في معارض دولية عديدة ، بأمريكا وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، وأوروبا ، وكذلك بالبلاد العربية ، وله إسهامات في المعارض الوطنية منذ الاستقلال .[1] لقد بدأ فارس فن الرسم وهو جندي في صفوف جيش التحرير ، ثم بدأ في عرض انتاجه الذي خصصه لتصوير مشاهد من حياة الجندي ، ومناظر من حياة اللاجئ على الحدود [2]، وكان يرسم المطبوعات والمناشير الخاصة بالثورة الجزائرية . وقد سمح له وجوده بتونس أثناء الثورة بالتعرف على كبار الفنانين التونسيين وعلى بعض الرسامين الأجانب ، الذين كانوا يعملون لصالح الثورة ، وكان عضوا بمرسم الكاف بتونس مابين سنة 1960 وسنة 1961 ، وبعد الاستقلال التحق بالوطن ، وبدأ بعرض أعماله بالجزائر واستفاد بالدراسة بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر سنة 1963 ،وفي المعهد العالي للفنون الجميلة ببكين سنة 1966م وفي أكاديمية براغ مابين سنة 1969م وسنة 1970م .

[1] الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، ص83.

[2] أنظر الشكل(10).

الشكل رقم (10). يمثل لوحة فنية لفارس بوخاتم " لاجئون يعبرون الحدود "

الشكل (11) : فارس بوخاتم _ إسمعوها (حبر صيني)

ومن الفنانين الذين ظهروا أيام الثورة التحريرية الفنان عبد القادر هوامل . فقد ظهر كرسام هاو في تونس ، أيام الكفاح ، وقامت الثورة بالاعتناء به ، فأرسلته إلى إيطاليا ، حيث دخل إلى أكاديمية الفنون الجميلة بروما .

ومن فناني الثورة نذكر عابد مصباحي ، فأغلب الفنانين الذين خصصوا في الأيام الأولى للاستقلال قد ساهموا بالعديد من أعمالهم لتخليد الثورة الجزائرية المسلحة .حيث استقطب هذا الموضوع أغلب الفنانين والإشادة بالثورات التي تعيشها الجزائر في كل الميادين . كالميدان الثقافي والزراعي ، والصناعي ، وساهموا في الدعوة لنصرة القضايا العالمية العادلة .[1]

ومن الفنانين الجزائريين الذين برعوا في فن المنمنمات نذكر :

لم يحل زهد المسلمين في التصوير، وتحفظهم بشأنه من إبداع آثار تصويرية تصغيرية بلغت أوج ازدهارها في العصور المتأخرة، وتعد إحدى المظاهر البارزة لعبقرية الحضارة الإسلامية، التي تجمع بين القيم الجمالية والثقافية، غير أن هذه الآثار لم تحظ بما يليق بها من الاهتمام والتثمين، مثلما هو الشأن بالنسبة للآثار التصويرية في الفن "الأوربي"، خلال العصور الوسطى والأسفار المذهبة أيام النهضة الإيطالية.

[1] ابراهيم مردوخ ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر ، ص38.

ترجع أصول المنمنمات أو الرسم التصغيري إلى فترة العباسيين والتيموريين والصفويين، حيث ازدهرت مراكز الفن الحرائي والتبريزي، عندما كانت كتب الشعر والتاريخ تزين بالرسوم، كما تجلت في كبريات مدارس المخطوطات ببلاد فارس والهند وتركيا، وما خلفته من آثار، والأكيد أن الفن التصغيري الإسلامي استقى مصادره وعرف أيام مجده وتطويره في بلاد فارس في الآثار النفيسةالتي خلفها مصورون منهم: بهزاد وآغاميرك والسلطان محمد ورضا عباس.

أما في العصر الحديث، فقد عرفت المنمنمات الإسلامية أسمى تجلياتها في أعمال محمد راسم الجزائري، الذي تعد لوحاته تعبيرا عن أمة، وعنوان حضارة عظيمة، ذلك أنها امتداد شرعي، وإثراء رائع للتراث الإسلامي الزاخر بالكنوز والتفتقات القيمة.

لقد عرف "راسم" كيف يؤلف بين الزخرفة الإسلامية البديعة، وبين المشاهد المستوحاة من تاريخ بلاده وأمته، وحياتها اليومية. ومما جاء في مجلة "العالم" البيروتية، عام 1953م "إن محمد راسم ينتقي مواضيعه الفنية، من تاريخ الجزائر وما رسومه إلا قصائد تتغنى بمجد بلاده، فهو إذن رسام وطني، يخلد ذكرى الوطن العزيز، ورسام عالمي ستبقي صوره ورسومه اسمه خالدا في التاريخ". ففي الوقت الذي كانت فيه الجزائر المسلمة، تجتاز عهد الاستعمار، وتتعرض لمحاولات التغريب وطمس الهوية، جاءت أعمال "راسم" بمضامينها الوطنية لتكون إعلانا عن فن جزائري أصيل، ولتسهم في التعريف بالجزائر تاريخا وأمة عبر معارضه التي أقامها في مختلف أنحاء العالم، فكان

بمثابة الحارس الأمين، لتقاليد بلاده، المنافح عن عروبتها،وبذلك استحق لقب "أستاذ الفن التصغيري الجزائري".[1]

محمد راسم : ولد بتاريخ 24 جوان 1896م 1314م بالجزائر العاصمة ، وتوفي في 30 مارس 1975 بالجزائر العاصمة ، وهو رائد المنمنمات في بلادنا ومن لوحاته التي تناول فيها الموضوعات التاريخية لبلادنا مثل : لوحة " خير الدين باربروس " و " الأمير عبد القادر " و " معركة بحرية " و" سفينة على أبواب العاصمة " .[2] موثقا بهذه الأعمال مآثر وأمجاد الثورة والشعب الجزائري.

كما جاهر محمد راسم بدعوته إلى الثورة ضد المحتل ببعض العبارات الثورية المريحة ، ومن هذه العبارات: " الجنة تحت ظلال السيوف " " الحرية ثمرة الصبر والثبات والشجاعة " "نصر من الله قريب" [3]

فيما يخص لوحة " خير الدين باربروس " ، تاريخ ظهورها 1982م ، التي سلط من خلالها الضياء على شخصية تاريخية كان لها دور في تأسيس الدولة الجزائرية . تجسد لنا قائد من قواد الثورات في الخلافة الإسلامية حاملا أسلحة حربية تتكون من سيف ،مسدس، وخنجر مرتديا الزّي التقليدي تعلوه قبعة وعمامة ، توحي لنا

[1] أبو زيدي عبد القادر : عزوز.بن ذهيبة: سنوسي محمد: بلغول محمد ، في 26مارس 2008 الساعة 17:08 :م

[2] أحمد باغلي ، محمد راسم الجزائري ، أعمال محمد راسم ، المؤسسة الوطنية للكتاب1984م ، الجزائر ، (ملحق اللوحات) .

[3] المرجع نفسه (ملحق اللوحات) .

وقفة الرايّس خير الدين باربروس بالثبات والوقار وقوة الشخصية تظهر من نظرة عينيه الحادة ، وهي لوحة تحكي مدى تحكم الخلافة الإسلامية وقبض زمام الأمور آن ذاك . حيث يأتي اللون الأصفر بتدريجاته الفاتحة والقاتمة التي توصلنا في آخر محطة اللون البرتقالي الذي يشغل مساحة معتبرة في اللوحة بما أنه لون ثوب الشخصية المصورة وعمامتها والعديد من تفاصيل ردائها .

ومن أعماله منمنمة للأمير عبد القادر .

الشكل رقم(13).[1] منمنمة الأمير عبد القادر

[1] عبد الرحمن جعفر الكناني ، منمنمات محمد راسم الجزائري _ روح الشرق في الفن التشكيلي العالمي ، ص18.

ويجب علينا أن نذكر من الفنانين المتأثرين بالثورة ، الفنان عروسي عبد الحميد ، ولد في 9 مارس 1947 بالمسيلة كان سنة 1976 عضو في الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية ، ثم أصبحا رئيسا لها سنة 1984 1985 بعد تحولها للاتحاد الوطني للفنون الثقافية أصبح رئيسا لها سنة 1992. ارتاد دروس أحمد بن يحيا ومحمود تاوتاو بقسنطينة . شارك في كل المعارض الجماعية .[1]

من لوحاته المعبرة عن الثورة لوحة " غضب نوفمبر " حيث نرى ورقتين من كرمة العنب باللون الأسود المعبر عن خريف الثورة الجزائرية الأسود المليئ بالمآسي والجروح العميقة فاستعمل الألوان المعتمة كالأسود والبني واتعمل طريقة اللطخ في العمل الفني تعبير عن الغضب .

" الفنان محمد صغير ولد في 15 نوفمبر 1927 في مراكش . المغرب توفي في 26 يناير في ولاية الأغواط . فنان عصامي التكوين ، عاش أو خالط عمر ومحمد راسم وكذا إسياخم ، الذي أعطى الرسام نضج معين . حائز على الجائزة الكبرى لمدينة الجزائر (1971م). "

[1] الإتحاد الوطني للفنون الجميلة ، وزارة الثقافة ، الفن التشكيلي الجزائري (عشرية70و80) ، ص 40.

المعارض الشخصية : 1964 ، مراكش ، الدار البيضاء ، 1967 م ، الجزائر 1985 ، رواق محمد راسم ، الجزائر 1994، فندق سوفيتيل، الجزائر العاصمة . شارك في العديد من المعارض الجماعية في الجزائر والخارج منذ عام 1964.[1]

من لوحاته فرسان الصحاري تجسد اللوحة عملا فنيا يبرز شجاعة فرسان الصحاري في الحروب والثورات ، نرى خمسة رجال فوق أحصنتهم حاملين بنادق في حالة هجوم رافعين أسلحتهم في السماء معلنين الحرب على العدو ، مما يوحي لنا بشجاعة الفرسان وإقدامهم على الحرب بكل عزم وثبات وإيمان بالنصر .

المبحث الثالث : الثورة في فن ما بعد الاستقلال.

بعد رحيل الاستعمار شهدت الجزائر رحيلا وهجرة جماعية للأوربيين الساكنين بالجزائر وحدث بالتالي نزوح جماعي للفنانين الفرنسيين والأوروبيين مما تسبب في بروز مجموعة من الفنانين الجزائريين المعاصرين للأوربيين والمتأثرين بمختلف أساليب المدارس الفنية الفرنسية وقد عرفت هذه الفترة الطويلة من الاستقلال الوطني عدة محطات نصنفها كما يلي :

[1] المرجع نفسه ، ص 120 .

_ المحطة الأولى : فجر الاستقلال وبناء الدولة الجزائرية (الستينات والسبعينات من القرن العشرين) .

_ المحطة الثانية : فترة الثمانينات .

_ المحطة الثالثة : فترة التسعينات وبداية القرن الواحد والعشرين .[1]

أولا : فجر الاستقلال وبناء الدولة الجزائرية

وتشمل هذه الفترة على الستينات والسبعينات من ق 20 حيث بزغت شمس الحرية على الجزائر ، ولم تعرف البلاد وقتها مدرسة فنية بالمعنى المعروف ، فقد كان الفنانون الجزائريون قليلون يعدون على الأصابع متفرقين ، أغلبهم في فرنسا ، بعد الاستقلال عادوا إلى الجزائر (الوطن) ، كما بدأت تتخرج مجموعات من الرسامين من مختلف أكاديميات العالم ، وساهمت المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر والمدارس الجهوية للفنون في كل من قسنطينة ووهران في تخريج دفعات من الفنانين التشكيليين ،كما ظهرت مجموعات من الفنانين العصاميين الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم ، وذلك بتأثير المعارض الفنية التي تقام هنا وهناك وبفضل احتكاكهم بالفنانين التي تقام هنا وهناك وبفضل احتكاكهم بالفنانين المحترفين ، وقد واصل بعض فناني ما قبل الاستقلال إنتاجهم الفني ، ونذكر من هؤلاء الرواد المخضرمين في نفس الوقت كل من : بشير يلس ، محمد بوزيد ، امحمد اسياخم ،

[1] الاتحاد الوطني للفنون الجميلة ، وزارة الثقافة ، الفن التشكيلي الجزائري (عشرية70 و 80) ، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007 ، معرض محمد راسم ، ص 14.

محمد خدة ، محمد تمام وغيرهم ، كانوا متأثرين بالأساليب السائد في نهاية الخمسينات ، حيث بدأت تظهر بوادر تأثير المدارس الحديثة بين الفنانين الأوربيين بالجزائر ، كالتجريد وشبه التجريد بالرغم من أن الأساليب التشخيصية كانت وما تزال هي السائدة .

ومن الفنانين الذين تكونوا بالخارج في الفترة الأولى للاستقلال ، الرسام" إبراهيم مردوخ "(1938م)[1] ب غرارة (مزاب) خريج أكاديمية الفنون الجميلة في القاهرة في الفترة من 1962 إلى 1967. عضو في الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية ، يحرز على مهنة في مجال التربية الوطنية وذلك كمفتّش للرسم . في نشاطه الفني لديه العديد من المعارض الشخصية ، وشارك في العديد من المعارض الجماعية في الجزائر والخارج . وهو أيضا مؤلف دراسات أحادية عن الفن . ، الذي اهتم في أعماله بإبراز مختلف معالم الجزائر ، وقد ساهم بالعديد من لوحاته للإشادة بثورة أول نوفمبر .

من أعماله نذكر لوحة بعنوان " أرملة الشهيد " ، ولوحة أخرى بعنوان " الجريح " وأخرى "مناظر من ثورة التحرير "

لقد شرعت الحكومة الجزائرية منذ أيام الكفاح المسلح ، وكذلك منذ فجر الاستقلال في إرسال البعثات إلى الخارج لتكوين أبنائها في شتى المجالات ومن ضمنها المجالات الفنية كالفن التشكيلي . ومن الفنانين الذين ظهروا أيام الثورة التحريرية الفنان عبد القادر هوامل ، فقد ظهر كرسام هاوي بتونس فقامت الثورة بالاعتناء به ، فأرسلته إلى ايطاليا

[1] الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، ص87.

لصقل موهبته ، فدخل إلى أكاديمية الفنون الجميلة بروما . وقد اثبت وجوده بعد تخرجه ، واستطاع أن يصبح من الرسامين المعروفين هناك ، ولا يزال يواصل عمله كفنان جزائري مقيم بايطاليا . [1]

ثانيا : فترة الثمانينات

عرفت هذه الفترة أحداثا ثقافية كان لها أثرا ايجابيا على الحركة الثقافية والفنية التشكيلية ، منها انشاء المدرسة العليا للفنون الجميلة في نفس مقر المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر ، مما سمح رفع مستوى الفنانين فنيا ، وثقافيا ،كما عرفت هذه الفترة توسعا في التكوين الفني ، وعرفت مجموعة كبيرة من المنشات منها : انشاء أقساما خاصة بالمعاهد التكنولوجية لتخرج أستاذة التربية الفنية ، ظهور الاتحاد الوطني للفنون الغنائية والسنما ، وانشاء عدة هياكل ثقافية مثل بناء منشات رياض الفتح التي تضم مقام الشهيد (قبة الترحيم) . ومتحف الجيش الذي يضم لوحات فنية ونحوت تمثل مسيرة الكفاح المسلح للشعب الجزائري .... وغيرها .[2]

وأخيرا وبشكل جوهري يمكننا القول بأن الفن في الجزائر في هذه الفترة عرف خلالها تناقضات وإشكاليات ناتجة عن الوجود الاستعماري وعن الميراث الثقافي .

[1] الاتحاد الوطني للفنون الجميلة ، وزارة الثقافة ، الفن التشكيلي الجزائري (عشرية70 و 80) ص15.

[2] الاتحاد الوطني للفنون الجميلة ، وزارة الثقافة ، الفن التشكيلي الجزائري (عشرية70 و 80) ص 18 (بتصرف) .

_ الجمعيات والجماعات والمتاحف الفنية بالجزائر .[1]

أ_ الجمعيات والجماعات الفنية : لقد ظهرت في الفترة الممتدة من فجر الاستقلال إلى بداية 200 م ثلاث جمعيات فنية تتمثل في :

_ الإتحاد الوطني للفنون التشكيلية .

_ الإتحاد الوطني للفنون الثقافية .

_ جمعية الفنون التطبيقية .

وكما وجدت ضمن هذه الجمعيات جماعات فنية قد يجمع بينها أسلوب معين وقد يجمع بينهما مجرد زمالة وتعاون في الانجاز الفني أمّا الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية قد تأسست حتى نهاية السبعينات وقام بتأسيسها محمد خدة ، محمد بوزيد ، محمد تمام ، محمد زميرلي ، بشير يلس ثم مصطفى عدان ، شكري مصلي ، علي خوجة ، خيرة فليجاني ، محمد الواعيل .

وقد تعاقبت على الأمانة العامة للإتحاد من سنة 1963 إلى1971 م كل من بشير يلس ثم مصطفى عدان إلى سنة 1971 ، حيث أدمج في نفس السنة ضمن المنظمات الجماهرية التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني ، الحزب الوحيد على الساحة السياسية

[1] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ، ص98 .

الجزائرية آنذاك ، وفي سنة 1973 أصبح على رأس الإتحاد الوطني الفنان فارس بوخاتم ، وبقي إلى سنة 1984م ، وكانت أهداف الاتحاد :

_ الاهتمام بمشاكل الفنان الجزائري .

_ تنظيم المعارض الشخصية والجماعية للفنانين داخل الجزائر أو خارج الوطن .

_ المشاركة في التظاهرات الثقافية والعربية والدولية.

يتبع الاتحاد قاعة للمعارض الفنية في شارع باستور في قلب العاصمة سميت بقاعة محمد راسم بعد وفاته سنة 1975م اعترافا بفضله وقيمته الفنية .

وفي سنة 1985 م أدمج الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية ضمن إتحاد عام يضم مجموعة من الأنشطة الثقافية ، وهو الاتحاد الوطني للفنون الثقافية الذي هو ثمرة إدماج الاتحاد الوطني للفنون الغنائية وإتحاد الفنانين السينمائيين ، وقد عين أحمد وهبي رئيسا الأمين العام السابق للإتحاد الوطني الغنائي ، وأيضا عرفت الساحة نهاية السبعينات ظهور جمعية فنية جديدة ، وهي الجمعية الوطنية للفنون التطبيقية التي تأسست يوم 16 فبراير 1979 بالجزائر، العاصمة وهي تضم مجموعة من الفنانين الذين يزاولون الفنون الإسلامية ، ونذكر من أعضاء هذه الجمعية كل من : مصطفى بن دباغ ، محمد تمام ، مصطفى بلكحلة ، علي كربوش ، عبد القادر بومالة ، أبو بكر صحراوي ، بوكروي الطاهر وغيرهم .

ومن أهداف الجمعية :

_ تشجيع وتعميم وتطوير الفنون الإسلامية والفنون التطبيقية .

_ المشاركة في المعارض الجماعية ، الوطنية والدولية .

هذا بالنسبة للإتحاد والجمعيات الفنية ذات الطابع التشكيلي ، أما بالنسبة للجمعيات الفنية فهي تتشكل من مجموعات من الفنانين ، الذين يتكتلون في إطار معين كإطار الزمالة أو التقارب في أسلوب معين واحد ، وأهم عبارة عن مجموعة من خريجي المدرسة الواحدة .

ونذكر من هذه المجموعات الفنية كل من :

_ جماعة الأوشام : مجموعة الطليعة ومجموعة فن وثورة . جماعة الفن الأول ، مجموعة الفنون الإسلامية ، جماعة 35 ، جماعة 51 ، جماعة 45 .[1]

وتتكون جماعة الأوشام على سبيل المثال على مجموعة من الفنانين الذين يجعلون من الزخارف الشعبية والأوشام الملهم الأساسي لتكويناتهم الفنية ، ومن الفنانين المنتمين لهذا التيار كل من : مصطفى عدان ، شكري مصلي ، دوني مارتيناز ، محمد بن بغداد ، نور الدين شقران الذي التحق بالمجموعة أو هذا التيار من التيارات التي تنادي بمبدأ الفن للفن .

[1] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ، ص99.

_ جماعة الصباغين : من التيارات التي ظهرت على الساحة الفنية مؤخراً ، وهي تتكون من الفنانين : زبير هلال ، سرقون كريم ، فروجي نور الدين بوراس عمار .[1]

متحف الجيش الوطني الشعبي : أفتتح هذا المتحف سنة 1984 م [2]وهو يحتوي على العديد من القاعات الفسيحة المخصصة لعرض مجموعة كبيرة من المنحوتات ، واللوحات الزيتية الكبيرة ومجسمات تتناول مختلف مراحل التاريخي الجزائري ابتداء من عصور المماليك البربرية والاحتلال الروماني والبيزنطي ، ثم العصر الإسلامي ، وانتهاءً بالاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية ثم أخيرا الثورة التحريرية الكبرى ، وقد جندت الدولة عند إنشاء المتحف ، مجموعة من الفنانين التشكيليين الجزائريين لإنجاز مختلف اللوحات الفنية التي تصور المعارك الكبرى التي خاضها الشعب الجزائري أثناء المقاومة أو الانتفاضات الشعبية أو الثورة المسلحة بناء على الصور والوثائق التاريخية كما جندت العديد من الفنانين والنحاتين لتنفيذ المجسمات و المنحوتات التي تمثل العديد من الشخصيات من رجال المقاومة والثورة .

[1] ابراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر ، ص100 _ 99 _ 98 .

[2] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي في الجزائر ، ص101.

مدرسة الفنون الجميلة ECOLE DES BEAUX :

تشكلت هذه المدرسة على يد المستشرقين ، حيث وجدوا أرضية ملائمة للإنتاج والإبداع ، تأسست سنة 1880 [1]، تأسست مراسمها الأولى سنة 1860م .

والمعروف عن هذه المدرسة أنها منعت الجزائريين من ممارسة فنونهم ، وتطويرها وهي أقدم المدارس الفنية في الوطن العربي ، والعالم الثالث ، وكان هدفها تدريس أبناء المستعمرين وجزء من الناشئة الجزائريين ، وكان تعليمها يقتصر على أنواع من الفنون الغربية ، كالخزف والتصوير وأصول الهندسة المعمارية ، ولم تأتي بهدف توعية أبناء الجزائر كما ادعى المستعمرين الأوائل ، وإنما الهدف الأساسي هو ترقية مستوطنتهم ، خدمة للذين توافدوا على الجزائر ، ونشر ثقافة المستعمر ، وطمس المعالم الثقافية الوطنية. [2]

[1] عفيف بهنسي ، الفن الحديث في البلاد العربية ، دار الجنوب للنشر . اليونسكو ، ص36 .

[2] إبراهيم مردوخ ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر ، ص03.

المبحث الأوّل : حياته

لاشك أن الفنان "محمد إسياخم"، هو إحدى العلامات البارزة والمضيئة في صيرورة الحركة التشكيلية المعاصرة في الجزائر والوطن العربي.

إنه فنان استثنائي التجربة والأسلوب، تصدر أعماله عن حكمة خاصة يمكن تسميتها بفلسفة "الحقد المقدس"، قد تبدو مستهجنة، ولكنها بالتأكيد تستند إلى مبررات موضوعية، ورؤية أصيلة، فلم تكن الممارسة الفنية عند "إسياخم" امتيازا أو ترفا بل كان فعل الرسم يؤلمه، وكان يتعذب فيما كان يقوم بذلك، وهو الذي كان يعتبر تعاطيه للفن قدرا ومحنة كبرى، قد تكون أفظع من محنته بذراعه المبتورة. ربما لأنه كان يجد نفسه في مواجهة ذاته وذاكرته الموشومة بالفجائع والموت، كونه ابن المعاناة الشعبية المنتشرة في جراحات الإنسان الجزائري، "

محمد إسياخم طيف يتماها في صورة " الفنان فن غوخ " ، كلاهما تمشى على جسر النار ، وتحرقت أقدامه كما تحرقت جفونه من امتصاص الألوان ، على شرفات الشفق ، حينًا والسّحر حينا ...ورغم أن فان غوخ اكتوى بلهب حياته الفقر والتشرّد ، وآخر الرحلة مد يده إلى عنقه فارتعشت روحه وغاب عن العذاب منتحراً. فإن محمد إسياخم ، ذاق مرّ العمر طفلاً ، عندما انفصل عن حضن أمه ، ليعيش غريبا ، متقطعا عن التواصل مع

همساتها[1]

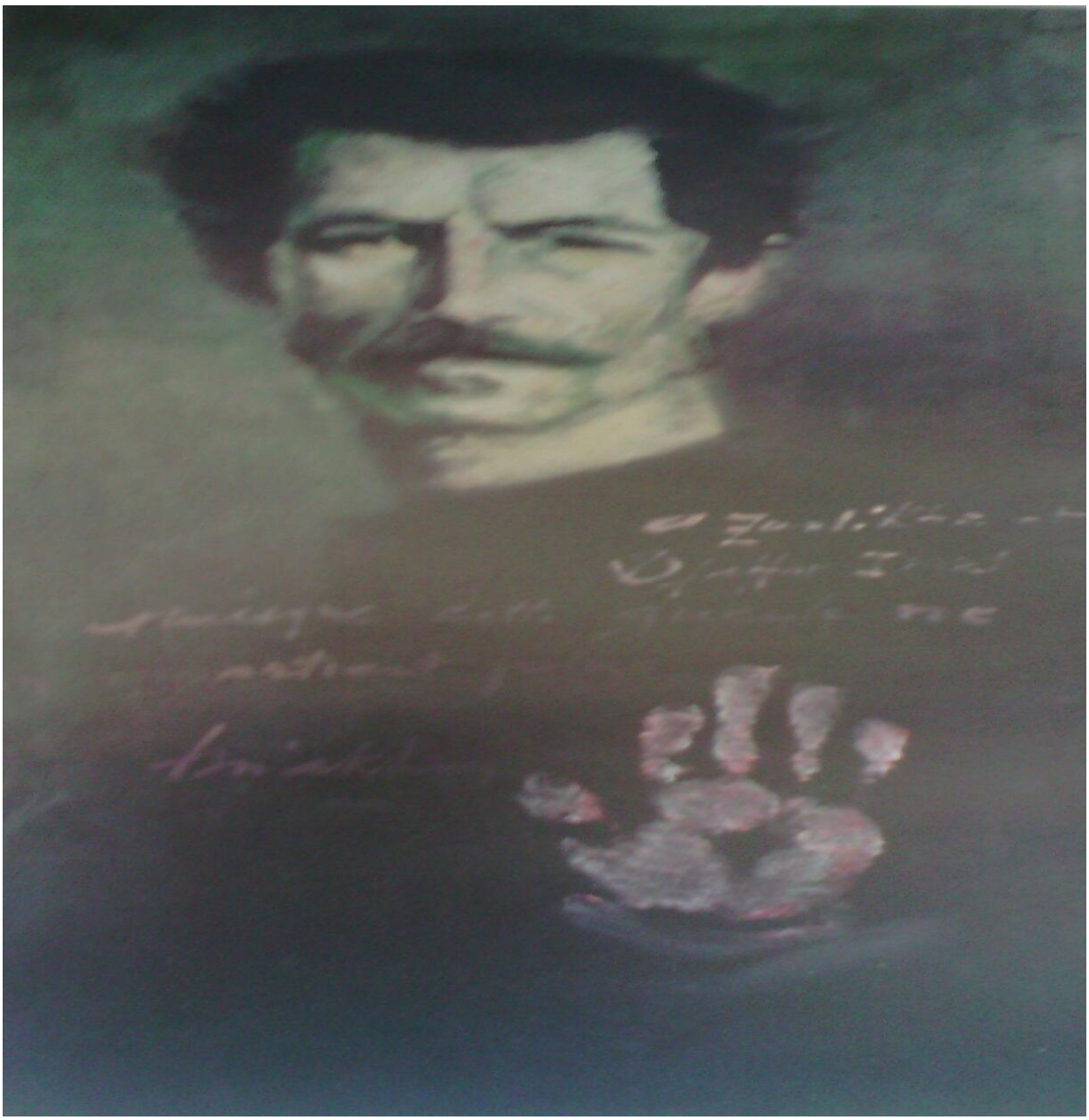

الشكل رقم (13). صورة ذاتية للفنان _ زيت على قماش 1976.

[1] الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، ص38 .

محمد إسياخم (عاصفة الوجع) ، فما قصة هذا الفنان التشكيلي المميز ؟ ، ولوحاته المعبرة عن الوجه المنسي من الثورة الجزائرية ؟ .

لقد ولد الفنان" محمد إسياخم " في بلاد القبائل الكبرى يوم 17 جوان عام 1928م بدوار " أت جناد قرب " أزفون ، لعمار بن أرزقي و أوغمات وردية بنت محمد . وفي عام 1931م أوتي بالصبي إلى مدينة غليزان في سن ثلاثة أعوام وعاش منفصلا عن أمه في طفولته الأولى .

التحق بالمدرسة الأهلية بغليزان عام 1934م حتى عام 1947م إلى مستوى شهادة الدراسة الأهلية . وعند إنزال قوات الحلفاء الإنجليزية والأمريكية بالجزائر عام 1942م دون فيها الفنان فيما بعد في مخطوط سيرة ذاتية بأنه كان شاهدا لاشتباكات عديدة وللترويح الإسباني للاجئين . وعام 1943م سرق الفنان محمد إسياخم وبعض رفقائه صندوق قنابل المخيم العسكري الأمريكي ، وأخذ واحدة وخبأها في منزله وعند اللعب بها انفجرت فأصيبت اثنتان من أخواته وابن أخيه بجروح قاتلة وشهد وقوع الحدث الأكبر آلاما في حياته .

وقع محمد إسياخم في غيبوبة وخلال عامين من الاستشفاء في عدة مستشفيات في وهران وخلال عام 1958م خلع مرفقه الأيسر ، وعام 1977م أدخل المركز الجامعي الإستشفائي بموسكو . وعند عودته إلى المنزل وبحضور تجمع

وبحضور تجمع عائلته صرخت والدته لدى رؤيتها لابنها المبتور : "أنا لم ألدك هكذا ، أخرج من المنزل ".

في عام 1965م عين في منصب مدير مدرسة للفنون الجميلة في وهران،ورسم نموذج تمهيدي للورقة النقدية لفئة خمسة دنانير ومائة دينار عام 1966م .وسنة 1967م (الثورة الإفريقية)،الألوان الزرقاء والسوداء غالبة ،ألوان الألم والحلي التقليدية وفي عام 1970م أنجز نماذج تمهيدية للورقة النقدية عشرة دنانير ،واستقر بعين الترك قرب وهران ،وكان رساما في يومية الجمهورية .

إسياخم هو فنان إنساني وضع الإنسان في قلب عمله كما انه مجد الشعور الوطني في استعمال السيف الذي هو سلاح المآثر البطولية بكل معنى الكلمة، والحل كذلك في الصفحات الأولى للجرائد (اندلاع الثورة المسلحة ، عيد الاستقلال ، عيد العمال ،والفتح من نوفمبر ...) فالأمر يتعلق برمزية وطنية حقيقية مثلا جريدة الجزائر الجمهورية ، هي مصممة (المجاهد مثلا) ، كأنها ملصقات ،عناوين كبيرة ،وأحيانا شعرات.

المبحث الثاني : أعمال الفنان في موضوع الثورة

تمت تصاميم للطوابع البريدية بالاستعانة بفنانين ورسامين ويقدمون اقتراحات تترجم الموضوع وفق الأسلوب التشكيلي على فنانين معروفين بأهمية إعمالهم عن التراث الوطني، وجمع الطوابع البريدية هي هواية من الفن ،وصور إسياخم بالرسوم بناءا على طلبات الاختفاء لذكرى الأحداث التاريخية أو السياسية سواء كانت وطنية أو دولية بين عامي 1969م و1983م ،ثم انجاز ستة طوابع من طرف إسياخم وثلاثة منها نسخت لواحاته وكانت تخص جميعها حدث أو تاريخا محددا.

اندلعت ثورة التحرير الكبرى من سنة 1954م إلى سنة 1962م،وتفاعل معها إسياخم،فرسم لوحته الخالدة التي سمّاها (محاكمة جميلة بوحيرد)[1]، وهي عبارة عن عريضة إدانة خالدة ، من أعمال التعذيب الوحشي الذي كان يتعرض مناضلو جبهة التحرير الوطني على يد زبانية الاحتلال .

الشكل رقم (14) لوحة " محاكمة جميلة بوحيرد.

[1] أنظر الشكل (14). من كتاب الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ص41.

ونعرض من أعمال الفنان إسياخم لوحة لذكرى فلان ، كان تاريخ ظهورها عام 1969م لأسباب تاريخية وبعد الاستقلال والشعور بالحرية المطلقة دون قيد أو تحديد .

اللوحة الأصلية هي لوحة استعملت فيها الألوان الزيتية على الكتان

اللوحة جاءت على شكل مستطيل أبعادها 165 سم ×100سم .

جاءت لوحة ذكرى فلان في إطار مستطيل ، وإطار خارجي سميك محشو بالخطوط المتنوعة لتشكل جسدا إنسانيا وعوائق لمختلف الملامح ، وإشارات متتالية على أنماط متنوعة ، ونجد وسط اللوحة الذي يحدده الإطار السميك المتمثل في التعبير عن الواقع المعاش . فالصورة الفنية عبارة عن تمثيليات دلالية للموضوع المطروح من قبل الفنان ألا وهو فنان أو شخص ، وبصورة دقيقة لذكرى فلان . لذاك نشاهد أشكال مختلفة تمثل في مجموعها دلالة لمعانات فلان وفي الواقع إذ نلاحظ الإحساس بالتعذيب وبالأسى ، والتعبير والتصوير إلا لحظة و مشهد أولي ودلالتها في شكل هيئة تروي بدورها القوى والتبرمات التي تعاني منها داخليا ، والشكل سهل البناء ، ونفس انحراف المعنى .

وإذا أثبتنا البصر نلاحظ شخص مزقه الرعب ، فهو تعبير منصهر لا يطاق ، وتحديد أيضا يد أيضا متشبثة بإحدى الأسلاك الشائكة .

لقد تأثر الفنان إسياخم بالفنانين التعبيريين الألمان فهو فنان مخضرم واكب جيل ما بعد الاستقلال وفترة الاستعمار ، فعاش حياتان مختلفتان وأثرت فيه مرحلة الاستعمار

الفرنسي للجزائر . فكان من رواد الحركة التشكيلية بالجزائر وحامل لرسالة شعبية مفعمة بالقضايا التاريخية والمعانات الصعبة ، والتي بدأت جلية في معظم لوحاته الفنية .

بعد الاستقلال تحول أسلوب إسياخم ألى التجريد وعرف بأعمال تشيد بالثورة الجزائرية التي عاشها الشعب في كل الميادين والتخصص في الكاريكاتور والعمل في الصحافة الوطنية ، والتعبير عن الثورة والسياسة التحريرية ومواضيع تتعلق بالكفاح . وتميزت شخصية الفنان بالألم الفاجع فقام بنشر الثقافة الوطنية واقتصر على أسلوب فريد (التعبيرية) .

ونقول عن الفنان محمد بن علي بن سعيد بن محمد راسم . الذي ولد بالجزائر العاصمة في 24 جوان 1896م ، حيث نشأ في بيئة فنية ، وفي سن مبكرة في سنة 1910 أدخله أبوه إلى مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر . فانخرط في قسم الرسم ، بدأ في حياته الفنية مهتما بالزخرفة التقليدية التي ورثها عن أجداده ومارسها في مرسم الوالد ، وقد استفاد محمد راسم من التقنيات الأكاديمية الغربية التي تعلمها في مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر ومن التقنية التي ورثها عن أسرته في إثراء فن جزائري محض ، وهو فن المنمنمات الجزائري الذي يستفيد من التقنيات الجديدة في الرسم ، ويستمد أصوله من الفن الإسلامي.

وبعد تخرجه من مدرسة الفنون الجميلة عمل في عدة متاحف بالجزائر ، ثم عمل في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس ، مما ساعده على التعمق والتعرف أكثر

على المخطوطات الإسلامية القديمة ، وفي سنة 1920م تحصل على منحة دراسية سمحت له بزيارة إسبانيا ، فتعرف على الآثار الإسلامية بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها من مدن الأندلس .[1]

ثم توجه إلى لندن وهناك وجهه السيرديترن روسي أستاذ الدراسات الإسلامية إلى المتاحف البيزنطية للإطلاع على المجموعات الفنية اللندنية . وقد أقام وشارك في العديد من المعارض الفنية في الجزائر .وفي باريس وفي القاهرة وروما وفينيا وبوخارست ، وارسو ، أستكهولم ، كوبنهاقن ، تونس وفارصوفيا ، وتحصل على العديد من الميداليات والجوائز منها وسام المستشرقين حصل عليه في باريس سنة 1924م .وفي سنة 1933 تحصل على الجائزة الفنية الكبرى بالجزائر ، وفي سنة 1950عين عضوا شرفيا في الجمعية الملكية البريطانية لفناني الرسم والمنمنمات بلندن . وقد عين سنة 1934 أستاذ بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر واغتنم وجوده بالمدرسة لغرس أصول الفنون الإسلامية ، والمنمنمات بصفة خاصة في أجيال من الفنانين الجزائريين . وقد كان للفنان إبراهيم مردوخ الشرف أنه تتلمذ على يده ولو لفترة قصيرة .

ومن لوحاته التي تحكي تاريخ الإسلام وانتشاره منذ نزول الوحي حتى سقوط الخلافة الإسلامية زمن السلطان عبد الحميد ، لوحة (الرايس خير الدين بارباروس) [2]: تجسد لنا

[1] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي الجزائري ، ص25 .

[2] إبراهيم مردوخ ، مسيرة الفن التشكيلي في الجزائر ، ص39 .

قائد من قواد الثورات في الخلافة الإسلامية حاملا أسلحة حربية تتكون من سيف ،مسدس، وخنجر مرتديا الزي التقليدي تعلوه قبعة وعمامة ، توحي لنا وقفة الرايس خير الدين بارباروس بالثبات والوقار وقوة الشخصية تظهر من نظرة عينيه الحادة ، وهي لوحة تحكي مدى تحكم الخلافة الإسلامية وقبض زمام الأمور آن ذاك .

ولوحة (الفارس) [1]التي تمثل شخصية مهمة في تاريخ الجزائر وهو فوق فرسه يرتدي زيه التقليدي البربري ، حاملا بندقية حرب معلقة بظهره ، ماسكا بلجام فرسه المسرج بأجود وأجمل الأسرجة آنذاك ، نرى من خلال وضعه ليده فوق جبينه لترصد العدو ، في وضعية متأهبة ومستعد للمعركة ، استعمل الفنان الألوان مثل الأزرق والأخضر والأحمر.

ومن أعماله الفنية الثورية نجد منمنمة (معركة بحرية) [2]والتي تحكي بدورها حرب من حروب الأسطول البحري للأخوة عروج وخير الدين بارباروس مع العدو، حيث نرى اندلاع حرب قوية بينهما . جعلتنا نتصور مدى هول الأوضاع الثورية آنذاك وجسدت لنا الصورة الحربية من خلالها .

[1] المرجع نفسه ، ص30 . أنظر الشكل رقم (16) .

[2] أنظر الشكل رقم (15) .

الشكل رقم (14). صورة للرايس خير الدين بارباروس .

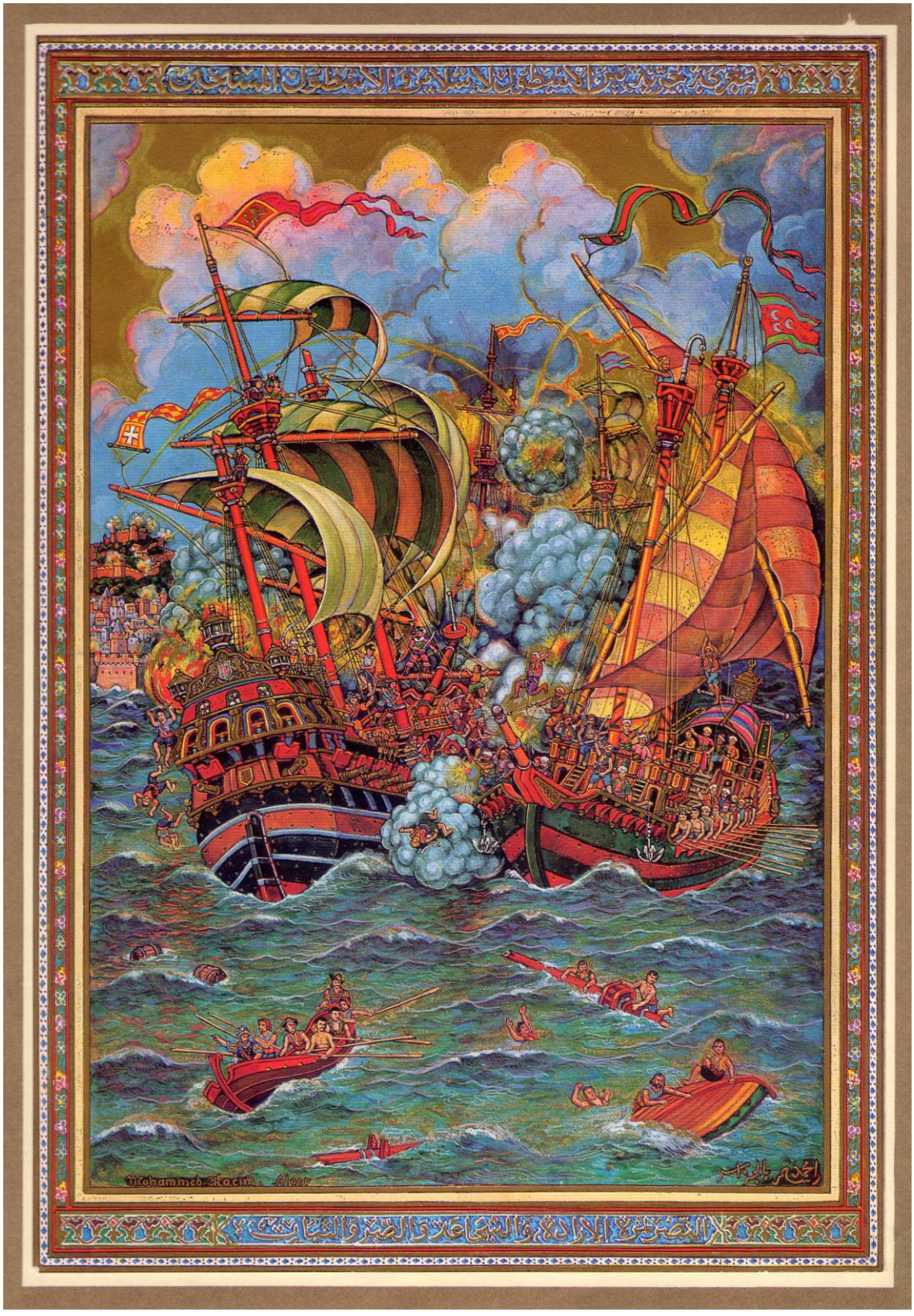

الشكل رقم (15) يمثل معركة بحرية

الشكل رقم (16) يمثل" فارس "

قال كاتب ياسين عن تفجره الدائم وثورته المتأججة : "...أظن أن الفنان الحقيقي يكون بشكل أو بآخر متعدداً وعنيفاً ، لسبب بسيط هو أنه ليس ملاكا ، لأن هذه رؤية الآخرين ، وهي رؤية خاطئة ، وهو نفسه تفجر مستديم لأنه يعمل في ذاته حركة ديمومة لا تتركه في سلام ..." .

وقال عنه آرنود سبير Arnauds Spire : "... إنه معتدٍ وعنيف ، رغم أن حركته مهدهدة ، هذا الراوي الذي لايكل ، هذا المحرر الذي يبدأ ألف مرة ، فمن الوجوه المغلفة في وطنه ، ترك وراءه رصيداً فريداً من نوعه ، حيث الإبداع والكشف فيه لايتوانى عن البدئ ... حتى مكن أكوان بعيدة عن وطنه الأم "

وقال عنه مراد بوربون : "... لقد ذهب في مشواره إلى أقاصي الشوق ، بكل ماحملت كلمة العذاب من عذاب ، لقد تركنا في مواجهة إنتاجه الذي اجتزأه من نفسه ، تماماً كما تجتزئ جزءاً من لحمك " . لقد تبارى الكتاب والمثقفون ممن عرفوه ، وأدركوا هواجسه ، وأحبوا فنه ، تباروا في وصفه ، والإثراء على إبداعه ، مما يجعله ضمن مصاف كبار المبدعين بلا منازع .[1]

وجزائرنا المستقلة غنية بفنانيها التشكيليين ذوي التجربة الهامة ، يتبارى فيها منهم المنتمين إلى اتجاهات ومدارس مختلفة ، وقد أفردنا من هذه الدراسة لعرض بعض الأعمال الفنية المعبرة عن الثّورة للفنان إسياخم .

[1] الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، ص42.

_الأوراق النقدية :

تشترك الدول معا في اللجوء إلى تعابير مميزة لإيصال صورة السلطة العمومية ، وتعتبر الطوابع البريدية والعملة من بين الوسائل الأكثر تجليا .

يتم استخدامها في جميع البلدان لنقل صورة وطنية ورسالة ذات نفع جماعي ، فضلا عن الخاصّيات الرئيسية للربط الاجتماعي . وإذا كان التمثيل بالصورة لايمكن فصله في هذه الحالة المحددة عن المشروع السياسي ، فإن المجموع المكوّن من النقد أو الطابع البريدي يعطي مسبّقًا نبذة عن النظام السياسي الحاكم .

يبدو عمل إسياخم لصالح الشرطة (تصميم الشعار ، الرسم الأوّلي لزيّ الدرك والصور النموذجية ...) أو لصالح البنك المركزي (جميع الأوراق النقدية عدا تلك التي المصدّرة ابتداءً من 1984) مدهشاً لأول وهلة : كيف أمكن لهذا الفنان النّاقم والمتمرّد، ألّذي يرفض بشدّة جميع أنواع الاستعباد والتسويات والتجنيد ، قبول خدمة مؤسّسات تمثل القوة القمعيّة .[1]

_الأوراق النقدية ، رموز الوطن :

[1] جعفر إينال ، إسياخم _الوجه المنسيّ للفنّان _الأعمال التصويرية ، د ط، مطابع الديوان ، الجزائر ، فيفري2008 ص 80.

نجد في الأوراق النقدية تحت أشكال أكثر تحفّظًا ، لكن أكثر كثافةً ، خطاباً خاصاً للفنّان عن تراثه ، وهذا الخطاب الذي ستخدمه الرموز التمثيلية إلى أقصى درجة ، سيتحرر وسيزدهر ، في تلك التحف الفنية المنمنمة .

بمناسبة المعرض الاستيعادي لأعمال إسياخم الّذي نظمه بمشاركة المتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر في ربيع 1986 ، تكلّم جعفر إينال عن وفرة الأعمال التي أنتجها الفنان : "...رسوم صحفية ، نماذج طوابع بريدية ، ملصقات ، زخارف ، نماذج أوراق نقدية ليس فقط الجزائرية ولكن أيضا لموريتانيا وغينيا بيساو . كم من الجزائريين يدركون بأنه في حوزتهم إحدى أو عدّة نسخ لمحمد في حافظة نقودهم ؟ " .[1] فعلا قلّة من الناس يعرفون بأن جزءاً من الأوراق المستعملة اليوم تم انجازها انطلاقا من نموذج لإسياخم ، واكتشاف ذلك يزيد من إعجابهم ومن شعبيته .

وقد ظهرت بعد الثورة ، في المخيّلة الجماعية ، تمثيلات مجازية حلّت محلّ تلك التي ورثها الاستعمار الفرنسي عن ثورته بالذات .

بالنسبة لإسياخم ، كان الأمر يتعلق بتمثيل سلطة دولة ذات سيادة : كانت الرموز الإيقونية المميزة لهذا النوع من الوثائق مرتبطة جوهريا بذلك التمثيل ويعتبر تحليل الأشكال الرمزية التي تزين الأوراق النقدية ، التي هو مبدعها ، موحيًا جدّاً .

[1] مقابلة لجعفر إينال في "الثورة الإفريقية " رقم1160 الأسبوع من 23 إلى 29 ماي 1985 .

بين عامي 1970 و 1983 ، أنجز إسياخم ثمانية أوراق نقدية : الأوراق من فئة 500 دينار ، 10 دينار ، 20 دينار ، 50 دينار ، الورقة الأولى من فئة 500 دينار ، الورقة الثانية من فئة 100 دينار والورقة الحالية لفئة 200 دينار .[1]

الأشكال التالية تمثل الأوراق النقدية المذكورة أعلاه .

[1] جعفر إينال ، إسياخم _الوجه المنسيّ للفنّان _الأعمال التصويرية ، ص86.

الشكل(17) والشكل (18) والشكل (19) والشكل (20) والشكل (21).[1]

[1] جعفر إينال ، إسياخم الوجه المنسي ، ص80،81،84،85،86،87،88،89.

وكانت آخر ورقة صممها إسياخم ، هي الورقة من فئة 200 دينار[1] الصادرة في عام 1983 ، كان موضوعها هو مدينة قسنطينة ، قلعة بني حمّاد وقرنا غزال منمنمتان يرمزان إلى مدينة ورقلة ، وعلى ظهر الورقة ، المقام الشهير المكرس لشهداء الثورة الذي يشرف على الجزائر ، والذي صار بصفته معلما للمدينة ، يتصدّر وسط الصورة .

تصدر معظم الأوراق يوم الأول نوفمبر ، العيد السنوي للثورة . ويظهر أن إسياخم قام كذلك بإنجاز الأوراق النقدية للجمهورية الشعبية الموريتانية وجمهورية غينيا بيساو ، ومع إستحالة الحصول على الصور ، فنحن نكتفي فقط بالأشارة إليها .[2]

الشكل رقم (22). نوذج للورقة النقدية من فئة 200 دج

_الطوابع البريدية

[1] أنظر الشكل (17).

[2]، جعفر إينال ، إسياخم الوجه المنسي ، ص89.

ومن الطوابع البريدية التي جسدت لنا صورة الثورة هو الطابع البريدي ل " الذكرى السنوية العشرين لاندلاع الثورة ، 1974[1]. إنه يشكل دعامة حقيقية لبث تلك الرسائل ، ولذلك السبب ، رسمت خطة للإصدارات من طرف وزارة البريد والمواصلات سنوياً ، تبعا لذكريات التاريخية والمواضيع ، وعدد الإصدارات وقيمتها ، بالإضافة إلى أصناف الطوابع المعتمدة (سلسلة فنية ، عادية ، إلخ .)

الشكل رقم (23) . نموذج لطابع بريدي صدر بمناسبة الذكرى العشرين لاندلاع الثورة .

[1] جعفر إينال ، إسياخم _الوجه المنسيّ للفنّان _الأعمال التصويرية، ص93. أنظر الشكل رقم (18).

مثل باقي الفنانين ، صور إسياخم بالرسوم بناءً على طلبات الاحتفاء بذكرى الأحداث التاريخية أو السياسية سواء أكانت وطنية أو دولية . بين عامي 1969و1983، تم إنجاز ستّة طوابع من طرف إسياخم وثلاثة منها نسخت لوحاته ، وكانت تخص جميعها حدثا أو تاريخا محدداً .

كرّست ثلاثة طوابع لتواريخ هامة ، الأول للذكرى السنوية العاشرة للمنظمة العربية للعمل ، الثاني للذكرى السنوية العشرين لاندلاع الثورة في 1974 والثالث بمناسبة الذكرى السنوية العشرين للاستقلال في 1982.[1]

[1]نفس المرجع ، ص 84. أنظر الشكل رقم (19).

الشكل رقم (24) .نموذج لطابع بريدي بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال.

وكان للطوابع البريدية والأوراق النقدية نصب من أعمال إسياخم حيث نرى أن موضوع الثورة حاضراً في جلّ أعماله ، ونماذجه للطوابع البريدية وأوراق النقود أثناء الاحتلال الفرنسي ، فنرى في نموذج للورقة النقدية من فئة " خمسمائة دينار " ، وهي أول نموذج ، رسمه الفنان إسياخم مجسّداً فيه الأسطول البحري أثناء الحكم التركي ، والمعبّر عن السيادة الجزائرية أثناء ذلك ، بقوة أسطولها وفوزها أثناء معاركها ضدّ العدو .

ونرى في الورقة " النقدية فئة 200 دينار جزائري "[1] الصادرة عام 1983 م ، قد رسم الفنان على ظهرها المقام الشهيد المكرّس لشهداء الثورة ، والذي يشرُف على الجزائر . معبّراً عن امتنانه وتقديره لشهداء الجزائر الأبطال .

ومن الطوابع البريدية نذكر بالخصوص" الطابع البريدي للذكرى السنوية العشرين لاندلاع الثورة 1974 م " حيث عبّر الفنان عن مدى احترامه للشهيد والمحارب والمجاهد الجزائري ، الذي مهّد الطريق وحرّر بلاده ليقول في الأخير لأخيه المواطن الجزائري تفضّل إلى أرضك إنّها محرّرة .

وطابع " الذكرى العشرين للاستقلال "، نرى كذلك أنّ الفنان خصص فيه موضوع الثورة والمجاهد الجزائري . حيث نشاهد رجل يرتدي زي العسكري والمجاهد ، يودّع ولده أثناء مغادرته للجهاد في سبيل حرية وطنه ، دلالة على أن المجاهد الجزائري فدى وطنه بكل ما يملك من مال وبنبن من أجل تحريره

توفي محمد إسياخم يوم 1 ديسمبر 1987م في الصباح الباكر .

في أوراقه وجد مكتوب بيده على ورقة : { الكره مقدّس . إنه استنكار القلوب الشديدة والقوية ، الازدراء المناضل لأولئك الّذين تغيظهم الرداءة والحماقة . الكره ، إنّه حبّ ، إنه الشعور بروحنا الدافئة والسخية ، إنه العيش بسعة من احتقار الأمور المخجلة والغبية . الكره يخفّف ، الكره ينصف ، الكره يعظّم .

كنت أشعر بكوني أصغر سناً وأشجع بعد كلّ من ثوراتي ضدّ توافه عمري . لقد جعلت من الكره ومن الفخر مضيفيَ، لقد راق لي أن أنعزل و، في عزلتي ، أن أكره الّذي يجرح الصواب والحقّ. وإذا كنت أساوي شيئاً اليوم ، فلأنني وحيد ولأنني أكره } .[1]

وقال في حوار مع مجلة الثورة الإفريقية في مايو 1985:

"ماذا يمثل الرسم في حياتك؟..

سؤالك غاية في الحساسية، بالنسبة لي الرسم لا يعني شيئا، سأحاول أن أوضح لك لماذا؟

البعض من الفنانين يدّعون أنهم يرسمون لأن ذلك يستهويهم، بينما أنا لا أرسم لأنني أرغب في ذلك.. الرسم يؤلمني، إنني أتعذب فيما أرسم، قد يكون ذلك نوعا من "المازوخية".. أنا رسام أو على الأقل هناك من يعتبرني رساماً، وإن كان ذلك محل شك، لأنني لا أعرف معنى أن أكون رساما، الرسم في نظري كلمة فضفاضة وواسعة. لنفرض

[1] جعفر إينال ، إسياخم الوجه المنسي للفنان ، ص113.

أنني أرسم، لماذا أفعل ذلك! إن هذا يستدعي التساؤل حقا، أنا لم أجيء إلى الرسم مثل الفنانين الفرنسيين، الإسبان والإيطاليين، أولئك يذهبون إلى الرسم بكل عفوية وبساطة، فلهم معالمهم وتقاليدهم الفنية، ومعظمهم نشأوا في بيئات مثقفة، وترعرعوا في الموسيقى والمسرح والفن.. هل تفهم ذلك؟.. أما فيما يتعلق بي، فأنا أعتبر الرسم أكبر صدمة في حياتي، قد تكون أفظع من الصدمة التي أدت إلى بتر ذراعي.

آباؤنا لم يتركوا لنا حرية الإبداع، ولم يضعوا في متناولنا أقلام التلوين والفراشي وألوان "القواش"، وعندما كنا نقوم بالرسم في البيت العائلي كان الأب يصرخ فينا "ما هذا!" ويعاقبنا بالضرب، لأن الرسم لم يكن يعني له سوى تبديد الوقت، لقد حرمنا الرسم منذ نعومة طفولتنا، لذلك لا أستطيع أن أجيبك إن كنت أحب الرسم أم لا. ثم إنني لا أعلم إن كان الرسم شيئا يستحق الحب، الرسم في ظني غريزة وقدر".

الشكل رقم (25) . لوحة للفنان بعنوان " ذكرى فلان "

_ من أعماله لوحة للفنان لعنوان " ذكرى فلان " [1]

تاريخ ظهور لوحة " ذكرى فلان " لإسياخم عام 1969م ، لأسباب تاريخية ، وبعد الاستقلال والشعور بالحرية المطلقة دون قيد أو تحديد .

جاءت اللوحة في إطار مستطيل ، فالصورة الفنية عبارة عن تمثيلات دلالية للموضوع المطروح من قبل الفنان ، ألا وهو فنان أو شخص وبصورة دقيقة لذكرى فلان . لذلك نشاهد أشكال مختلفة ، تمثل في مجموعها ، دلالات لمعاناة فلان ، وفي الواقع إذ نلاحظ الإحساس بالتعذيب وبالأسى ، والتعبير والتصوير إلا لحظة ومشهد أوّلي ودلالتها في شكل هيئة، تروي بدورها القوى ، والتبرمات التي تعاني منها داخليا .

وإذا أثبتنا النظرة نجد شخص مزّقه الرّعب ، وتحديد أيضا يد متشبثة ، بإحدى الأسلاك الشائكة ، فاللوحة توحي إلى فكرة جسدها الفنان ، وهي التعبير عن معانة صرخة مستوحاة من إنسان مصارع وقوي يتخطى الصعوبات ، ومسلوب حرّيته .

لوحة " منظر طبيعي قبائلي" :[2]

[1] أُنظر الشكل رقم 04.

[2] أُنظر الشكل رقم 05.

وهي لوحة للفنان تمثل فترة الاحتلال الفرنسي بالجزائر في فترة ما بين 1930_1931 م ، وهي فترة اضطهاد الأهالي الجزائريين أثناء الثورة التحريرية الكبرى ، أُستعملت في اللوحة الألوان الزيتية على كتان أو قماش .

الشكل رقم (26) لوحة للفنان بعنوان" منظر طبيعي قبائلي "

فالصورة الفنية عبارة عن تمثيلات دلالية للموضوع ، ألا وهو " منظر طبيعي قبائلي " ، يرجع إلى فترة الثوار أثناء الحرب التحريرية الوطنية ، ووضعية الأهالي الجزائريين في تلك الحقبة الزمنية الاستعمارية . بأسلوب تعبيري .

نستنتج من خلال هذه اللوحة أن صاحبها "محمد إسيخم " أراد إبراز الجانب الواقعي لحياة القبائل والمعبرة عن كل المظاهر والخصوصيات والمعاناة ، أو منظر لجو قبائلي معش وسط اضطهاد الأهالي وهذا راجع إلى شخصية ونفسية الفنان أثناء العمل الفني وقدرته الهائلة على التوظيف والتعبير. إن اختيار الفنان لهذا الموضوع ، يوحي لنا انطباعات الفنان على كل عمل فني ورسم يقوم به ، وبالتالي الإخلاص لشعبه وبيئته ووطنه .

نرى في معظم لوحات الفنان شناعة التعذيب ومرارة الألم عند المواطنين الجزائريين أثناء الحرب ، ومن خلال اللوحات التي رسمها إسياخم في الجرائد نرى شتى الطرق المتوحشة التي اتخذها المستعمر ضد المواطن الجزائري .

رسوم جريدة الجزائر الجمهورية 1962 بعنوان " المعسكر " [1] ، المؤلف عبد الحميد بن زين ، توضح لنا مدى معاناة الجندي الجزائري واستعباد الفرنسي له .

[1] أُنظر الشكل رقم 06.

ثم نرى في جريدة الجمهورية ، نشرة خاصة عن 3 جويلية 1963 ، الصفحة الأولى ، لوحة للفنان تمثل الذكرى الأولى للاستقلال [1] حيث نرى الفرحة تعم على الشعب الجزائري حاملا شعارا مكتوب فيه بالخط العريض " الذكرى الأولى للاستقلال ، ونرى كذلك أسفل اللوحة شخص يرتدي الزي التقليدي الجزائري فاتحاً أبواب النصر لشعبه ، مرحباً به في بلاده المحررة من الاستعمار ، ونرى استعمال الألوان الأخضر والأحمر والأبيض دلالة على ألوان العلم التي تمثل الوطنية الجزائرية والسيادة .

[1] أُنظر الشكل رقم 07.

نرى كذلك في لوحة أخرى للفنان في الجريدة كذلك رقم 205 ، 19 مارس 1963 م ، الصفحة الأولى ، تجسد استقلال الجزائر[1] ، حيث رسم امرأة ورجل حامل طفلهما ، رافعه إلى الأعلى فوق كتفه ، من شدة الفرح بالنصر وحرية الجزائر، دلالة على عودة الحياة في أرض الشهداء ، نرى المرأة تمسك بيدها اليمنى سلسلة القيود التي قد قطعت ، مجسدا بها تحرره من قيود وسيطرة المستعمر.

[1] أُنظر الشكل رقم 08.

ثمّ نأتي إلى لوحة " المعسكر " [1] عبد الحميد بن زيد كذلك ، رسم تصويري نشر في جريدة " الجزائر الجمهورية " 1962 ، والتي هي كذلك تعبّر عن الثورة الجزائرية ومعاناة الشعب أثناء الوجود الفرنسي ، نشاهد من خلالها أسلاك شائكة وأسلحة موجهة نحو المواطن الجزائري ،وعلم فرنسا يحلّق ، دلالة على السيادة الفرنسية أثناء ذلك .

[1] أُنظر الشكل رقم 09.

ومن اللوحات التي تمثل نصر وتحرير الجزائر من يد المستعمر ، لوحة رسمها الفنان في جريدة الجيش ، رقم 02 شهر أوت ،ص 22 .[1] نرى فيها شعب الجزائر حاملاً لافتات النصر من نساء وصغار ورجال ، وأعلام الجزائر ترفرف في أعلي السماء الصافية من دخان الثورة والحروب .

[1] أنظر الشكل رقم 27.

ونذكر كذلك لوحة القصف [1] ، وهو رسم بالريشة للفنان (الجزائر 1963) ، يمثل حادثة مروعة لقصف المستعمر لامرأة وطفليها ، أثناء المداهمة الفرنسية .

ومن الرسم الساخر والنوع الهزلي ، اتخذ الفنان إسياخم سلاح ينتقد به المستعمر فنرى لوحاته في الجرائد المتمثلة في لوحة بعنوان " سيطرة السيّد " [2] ، وهو رسم يمثل سيادة المعمّرين ونهب الأراضي من أصحابها ، أثناء الاستعمار .

ولوحة " المصادرة "[3] التي تمثل عائلة راحلة من بيتها وأرضها رغماً عنها ، وهذا الرسم كان موضوع الجريدة " الجزائر الجمهورية " 3 جانفي 1963 ، الصفحة الأولى .

ولوحة " الرحيل " [4] التي نرى من خلالها رحيل المعمّر بعد أن ملأ بطنه من خيرات الجزائر ، حاملا في يده حقيبة ، والتي توحي لنا أنها مليئة كذلك بالمخطوطات والكتب وكلّ ما أمكن للمعمّر من أخذه من بلادنا الجزائر .

ونرى في جريدة " الجيش " ، كذلك رقم 6 ، أكتوبر 1963 صفحة 24 ، رسم للفنان يمثل شعب الجزائر من مختلف الأجناس ، حاملاً شعارات تندد بالسيادة الوطنية الشعبية وحرية الرأي الجزائري .

[1] أُنظر الشكل رقم28.

[2] أُنظر الشكل رقم29.

[3] أنظر الشكل رقم30.

[4] أُنظر الشكل رقم31.

ونلاحظ الجانب التعبيري في فن إسياخم والمرارة في لوحة ، وهي كرسم أوّلي لنقيشة

نصب الشهداء ، الجزائر 1978 ، حاملا معان ورسائل تعطي إعتبار للمجاهد الجزائري.

تحليل لوحة " مسيرة الثورة " للفنان إسياخم

الفنان : محمد إسياخم

اجتهادا منا وضعنا عنوان للوحة والمتمثل في " مسيرة الثورة " .

التاريخ : ظهرت هذه اللوحة على الأرجح في بداية الثورة .

طبيعة العمل الفني : رسم زيت على قماش . رسمت على إطار مربع وإطار خارجي نحيف ، الألوان المستعملة أسود و أبيض ، اللوحة بها مشاهد تعبّر عن الثورة .

الحجم: بالنسبة للإطار نرى أن حجم اللوحة يرتكز في الوسط محاط بدائرة تزيد من عمق المنظر .

_ قياسات اللوحة : 19 سم * 15.5 سم .

المدرسة: تنتمي هذه اللوحة إلى المدرسة الواقعية وهناك نوع من الرمزية .

النقطة : نر أن اللوحة بها نقاط تهشيرية تمثل على الاستمرارية .

المساحة : المساحة التي خصّصها الفنان لهذه اللوحة حدّدها بدائرة تتوسط الإطار المربع، ويعني بها الفنان ربما الدوامة التي كان يصارع فيها الرجل أو المجاهد ، وهي تعبير عن الواقع المعاش . بأرضية مرقّشة بنقاط متقاربة ومتساوية بشكل أفقي ، وهي تبدو خشنة نوعا ما بخلفية سوداء تماماً .

الخط : إعتمد الفنان في كتابة الرقم على اليمين على الخط الهندسي العريض والبارز، عكس الرقم المكتوب على الجهة اليسرى الذي كتب بخط رقيق يكاد يختفي عن الأنظار .

اللون : نرى في هذا العمل الفني لإسياخم أن الفنان استعمل ألوان أحادية من الرّماديات ، في بعض الأحيان استعملها بشكل قاتم، موضّحا معالم ثورية أو ربّما ترمز إلى القوة والاستعلاء ، وفي أحيان أخرى ساطعة تنشر ضوء في مركز اللوحة ، إلا أننا نرى أن الفنان قد استعمل اللون الأسود بكثرة ، وهو اللون المسلط داخل العمل الفني ،وهناك دوافع جعلت الفنان يختار هذا اللون دون غيره ، قد تكون من أجل التعبير عن الموقف المأساوي الذي يريد الفنان إبرازه للمشاهد . فهنا اللون الأسود المستخدم عند إسياخم يمثل الحزن والغم والحداد .

وهته الألوان تبدو واقعية فيها نوع من الخيال والتلقائية ، ونرى تباين في قيمة اللون ذاته لإبراز بعض العناصر المهمّة في العمل الفني والمؤلفّة له ، كالمرحلة التاريخية (1954_1962) ، والشهيد والعلم والسلك الشائك .

الضوء : نشاهد بروز الضوء من الجهة اليسرى دلالة على الأمل المشع والحلم المنتظر من الاستقلال ، انتشار الظلام من الجهة اليمنى التي تمثل فترة الاحتلال ، دلالة على الحزن واليأس ، أي أن الفنان هنا ربما أبرز لنا من خلال انعكاسات الضوء ، حالة

المجتمع الجزائري أثناء الثورة ، وآثار الظلم والتعذيب في تلك الفترة . أي أن الفنان لم يرسم لوحته بهته الانعكاسات الضوئية ليبيّن لنا المفارقات الضوئية في اللوحة فقط ، بل استخدمها كمنعكس لإظهار حقيقة وآثار الثورة على المجتمع الجزائري ، أي من خلال الضوء في هذه اللوحة يمكن لنا تحديد الفترات الزمنية للوحة ، يمكننا أيضا وصف الضوء في هذه اللوحة على أنه لطيف وديع ، اختاره الفنان بهدف تسليط الضوء على المعني بالموضوع ألا وهو الشهيد الملقى والمغطّى بالعلم الجزائري .

العناصر التي أبرزها الضوء في هته اللوحة هي كما نشاهد " المجاهد الملقى والعلم المغطى به " ، باحتلالهما المكانة المرموقة في مجال المنظور ، وذلك من خلال تسليط الضوء عليهما بالخصوص ، ولا ننسى المرحلتين المحددتين في اللوحة فترة دخول المحتل وخروجه ، كما نرى أنّ واقع الإنارة ليست واقعية بل إيحائية بوصف مظهر العنف وإظهار الحقيقة الشنيعة والمؤسفة لفترة الاحتلال في الجزائر ، والتي يريد الفنان وصفها من خلال تركيزه للضوء عليها . وهي حقيقة مأساوية استعمارية ، من خلال ذلك نرى أن القيمة الرّمزية قدّمتها لنا الإنارة قيمة ذاتية مستقلّة بذاتها لها حرية بعيدة عن جميع مكوّنات اللوحة .

نشاهد أشكالا مختلفة في محتواها ودلالات في شكل هيئة تروي بدورها الإحساس بالتعذيب والأسى ، حيث نلاحظ على يمين اللوحة أو الدائرة مكتوب تاريخ 1954 ، بخط هندسي عريض، دلالة على أهمية التاريخ وهو التاريخ الحقيقي لانطلاقة الثورة ، وما

خلفه ذلك التاريخ من نتائج على النفس الإنسانية وسقوط عدد كبير من الضحايا والموتى الشهداء الذي يقارب مليون ونصف مليون شهيد ، وهذا العدد بحد ذاته أيقونة للثورة الجزائرية الكبرى في(ق 19) ولهذا سميت الجزائر بلد الشهداء .

بعد ذلك نشاهد شخص بهيئة نحيفة يتوسط الدائرة ربما ميت ، أو ربما هو متأثر من شدة العذاب ملقي على الطريق أو فوق السرير ، وقد يكون هذا التعذيب جراء سجنه واستنطاقه بوسائل التعذيب المختلفة التي عرفها المجاهدون الجزائريون في السجون مثل الصعق الكهربائي ، الضرب ، الإسفنج المبلل في الفم ، التقطير المستمر ، قلع الأظافر باستعمال الكلاب ، أو التجويع ، أو ربما ميتا جراء هذه المعاناة والأفعال الشنيعة ، أو طلقة رصاص متعمدة ، وقد يكون توفي بسبب الأوضاع الاجتماعية المزرية التي عاشها الشعب الجزائري ، وذلك ما نلاحظه من بروز عظام القفص الصدري ، وذوبان الجلد على العظم في الوجه وعلى الكتف ، والفم المفتوح والعينان الغائرتان ، كما يدل الصلع على الرأس على أنه إمّا شيخ كبير أو أنه مسجون حُلق شعره .

وعلى جثة الميت أو جسده الملقى ، نرى أنه مغطى بعلم وطنه الجزائر ، نفهم من هذا أنه شهيد ووطنية الشخص ، بمحاربة المستعمر حتى وفاته ، متمسكاً بيده بقبضة محكمة على العلم ، دلالة على تمسكه بأرضه ووطنه والمحاربة من أجله . بخلفية سوداء تحمل معاني اليأس والأسى والحزن ، كل هته أحاسيس شعر بها المجاهد الجزائري أثناء الاحتلال.

تحليل لوحة " مسيرة الثورة " للفنان إسياخم

رسم الفنان أيضا على اللوحة ، أسلاك شائكة ، مارتا من يمين اللوحة إلى يسارها ، بشكل متعرّج ، وكأنها طريق محفوفة بمختلف العراقيل التي تصدت للمجاهد الجزائري أثناء عبوره للوصول إلى الحرية ، ليس بالطريق السهل ،وفقدان الكثير من أبناء الجزائر خلال عبوره ، ومثل لنا مختلف المراحل التي ر بها الشعب الجزائري أثناء الاحتلال برسمه على يسار السلك الشائك ثلاثة نقاط شائكة ، أو ربما تدل على تواريخ معينة لمواجهة المجاهدين المحتل الفرنسي ، وإعطائها أهمية بإبرازها كفترة صنعت تاريخ الجزائر ، للوصول في الأخير إلى النصر وتحرير الجزائر .

وعلى يسار اللوحة نرى أن الفنان قد كتب تاريخ 1962 ، وهو التاريخ الموسوم بتاريخ الاستقلال ، حيث كتبه بخط أقل وضوحا من الخط المستعمل في التاريخ الأول ، دلالة على أنه أقل أهمية من التاريخ لبداية الاحتلال ، أو دلالة على ضعف المحتل ومغادرته بلاد الجزائر ، عكس التاريخ الأول ، ربما دلالة على دخول المستعمر بقوة سلاحه ومعسكره ، فبين لنا من خلال التواريخ حال المحتل أثناء المرحلتين ، ففي المرحلة الثانية كما نرى اختفاء اللون دلالة على اختفاء وخروج الاستعمار .

وأخيراً أحاط كل هذه الأحداث والمشاهد بدائرة دالة على دوامة كبيرة ، واجهها المجاهد أثناء الفترة الممتدة مابين المرحلتين 1954 _ 1962 ، بخط بارز يوحي به لنا مدى أهمية الفترة ومدى أهمية الفترة ومدى تأثيرها على الوطن الجزائري بكل ما يحمله من شعب ومعاناة هذا الشعب خلالها .

كل هذا يوحي لنا أن الفنان من خلال هذا العمل الفنّي أراد أن يعطي معنى لعمله، وهناك دوافع ذهبت إلى جعله لهذا العمل رسالة يريد من خلالها إيصال فكرة سياسية اجتماعية ، بتعبيره عن مسيرة الثورة في بلاده أثناء الفترة المذكورة . حيث أراد كذلك أن يبعث فينا انفعالات بالإنسانية اتجاه هذا المجاهد المظلوم والمسلوب حرّيته ووطنه من خلال إحاطته بسلك شائك ، وهذه الصّورة كما نشاهد هي تمثيل صوري لشخص معيّن وهو" المجاهد " وهو الثورة المجيدة .

ونرى أن الفنان قد ضمّن لوحته عناصر ذات معاني متعددة ومختلفة ، واستعمل أجزاء معيّنة من جسم هذا المجاهد وترك لنا نحن كقرّاء حرّية التّصوّر في تأليف الجسم الكلّي .

وفي ملخّص حول اللوحة ، أقول أنّ الفنان قد وُفّق في إبراز أحاسيسه وفكرته الثورية للقرّاء من خلال عمله هذا ، واستطعنا أن نفهم بشكل أبسط ، ما حاول الفنّان إيصاله لنا عبر هذه اللوحة الفنية ، وفك الدّلالات الفنّية للوحة ، فهي عمل معبّر عن مسيرة الثورة الجزائرية ، صوّر لنا معاناة المجاهد الجزائري خلال هته المسيرة .

خاتمة

إن وظائف الفن متعددة في الحياة ، تهدف إلى التواصل بين البشر ، حاملا من بين إنتاجاته التشكيلية رسائل فنية ،وجمالية ، ووظيفية ، ويضع من خلالها تصورات مستقبلية للحياة .

وكانت مساهمة الفنان الجزائري في تخيله وتسجيل مرحلة تاريخية هامة في الجزائر حاضرة في كل البلدان . من بينهم الفنان " محمد إسياخم " الذي كان موضوع رسالتي ، تميّز بفنه المخضرم ، ورغم الإعاقة التي أصابته إلا أنه جعل من الفن أداة تحدي للصعوبات ، جسد لنا من خلالها مختلف المراحل الثورية للجزائر أثناء الاحتلال.

ونرى أنّ الفنان محمد إسياخم قد وفّق في تقديم لنا صورة عن الثورة الجزائرية في أعماله الفنية ، والتي بدورها تمثل أيقونة ، تحمل في طيّاتها أسمى معاني حب الوطن ، والجهاد في سبيله .

01_ المصادر : كتاب القرآن الكريم

الكتب :

02 _ المصباح المنير للفيومي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ط 5 ، 1922م ، ص 121.

03 _ محمد راسم ،مقدمة احمد طالب الإبراهيمي، ش،و،ن،ت،الجزائر ،الطبعة الرابعة 1981،

04 _ محمد السويدي ، علم الاجتماع السياسي ميدانه وقضاياه ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية . ص 129 .

05 _ محفوظ قداش ،الجزائر في العصور القديمة ، د_ط،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب 1993

06 _ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشرق الدولية ، ط4، 2004م، ص 102.

07 _ مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزائر 1976م

08 _ فوزية العطية ، علم اجتماع الثورة وخصائص المجتمع الثوري ، مجلة كلية الأدب العراقية ، العدد الرابع والعشرين ، 1979 . ص 458.

09 _ عفيف بهنسي ، الفن الحديث في البلاد العربية ، دار الجنوب للنشر . اليونسكو

10 _ عبد الرحمان جعفر الكناني ، منمنمات محمد راسم الجزائري ،(روح الشرق في الفن التشكيلي العالمي)، منشورات الإبريز ، دراسة فنية ،مطبعة الديوان ، د ط ، 2012م، وزارة الثقافة _ الجزائر

11 _ ط مجمع اللغة العربية ، 1983م ، ص 58 .

12 _ صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ، دار العلوم للنشر والتوزيع د_ط ، عنابة ،الجزائر ، 2005_1426

13 _ صالح بن قربة _وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ،طبعة خاصة وزارة المجاهدين،الجزائر ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954,2007

14 _ الصادق بخوش ، التدليس على الجمال ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، 2002 م

15 _ شعبان الطاهر الأسود ، علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 2003. ص 46 .

16 _ شعبان الطاهر الأسود ، ص 64 .

17 _ دار الكتاب اللبناني ، ج 1 ، 1982م، ص 381.

18 _ د.صالح فركوس ،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م_1962م)

19_ د. يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسط ، الجزء الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .1992

20 _ جعفر إينال ، إسياخم _الوجه المنسيّ للفنّان _الأعمال التصويرية ، د ط، مطابع الديوان ، الجزائر ، فيفري 2008

21 _ أحمد باغلي ، محمد راسم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ، الجزائر

أحمد باغلي ، محمد راسم الجزائري ، أعمال محمد راسم ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984م ، الجزائر ، (ملحق اللوحات) .

22 _ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الطبعة 01 ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998 ، الجزء الثاني 1500_1830

32 _ إبراهيم مردوخ ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1988، الجزائر

24 _ إبراهيم مردوخ ،لمحات عن الحركة التشكيلية بالجزائر ، وزارة الثقافة ،الفن التشكيلي الجزائري (عشرية 70و80) ،الجزائر2007

25 _ أ.د:إبراهيم العيد بشي ،البعد الوطني من خلال مظاهر المجتمع الطوطمي ومشاهدة الرسوم الصخرية لمنطقة التاسيلي _ناجر الى المدنية (في فترة قبل التاريخ،وفجر التاريخ) د_ط،الجزائر ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،2014م.

رسائل الدكتراه ومذكّرات التخرّج :

26_ بوزار حبيبة ، مكانة الفن التشكيلي في الجزائر ، رسالة دكتراه ، جامعة أبو بكر بلقايد

27 _ تيمي سالمة ، رواد الفن التشكيلي الجزائري من 1830 إلى ما بعد الاستقلال نصر الدين دينيه (نموذجا) ، مذكرّة لنيل شهادة الماستر .

28 _ زينب ، الفن التجريدي في الجزائر الفنان أمحمد إسياخم (نموذجا) . مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر . جامعة أبو بكر بلقايد" تلمسان " 2015.

29_ حنان بلبالي ، المقاومة في الفن التشكيلي الجزائري الأمير عبد القادر (نموذجا). ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر . جامعة أبو بكر بلقايد" تلمسان " 2015.

30 _ بوسديرة محمد ، الثورة الجزائرية من خلال الفن التشكيلي الجزائري . مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر . جامعة أبو بكر بلقايد" تلمسان " .2015

31 _ داده سميرة ، الفن التشكيلي الجزائري المعاصر (فترة الثمانينات إلى يومنا هذا) ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر . جامعة أبو بكر بلقايد" تلمسان " .2015

32 _ فراس جعلوك ، الفنان الفرنسي المستشرق ألفونس إتيان دينيه " فنه، فكره ،آراءه " ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر . جامعة أبو بكر بلقايد" تلمسان " 2015.

المقالات :

33 _ جابر السكران ، مقال (الثورة : تعريفها ، مفهومها ، نظريتها) موقع الجريدة .www.Algaredah.com

34 _ أبو زيدي عبد القادر : عزوز.بن ذهيبة: سنوسي محمد: بلغول محمد ، في 26 مارس 2008 الساعة 17:08 :م

35 _ مقابلة لجعفر إينال في "الثورة الإفريقية " رقم 1160 الأسبوع من 23 إلى 29 ماي 1985.

المتاحف :

36 _ متاحف الجزائر من الماضي ،سلسلة الفن والثقافة ،مدريد،ديسمبر 1971.

المواقع الإلكترونية :.

38 _ La traduction du français en arabe par fatimazohra zaamom.

37 _ ابن منظور ، 109/4 ، دار المعارف.

39_ ويكيبيديا _ الموسوعة الحرّة .

فهرس تفصيلي.

_ صورة الثورة الجزائرية من خلال أعمال الفنان إسياخم .

الصفحة .

مقدّمة :.....ص ._أ_

مدخل :مفهوم الثورة ص01

الفصل الأوّل : الثورة والحركة التشكيلية في الجزائر ص04

المبحث الأول : ملامح المقاومة والحرب في العصور القديمة ص04

المبحث الثاني : الثورة في الرسم الاستشراقي ص26

المبحث الثالث : الثورة في فن ما بعد الاستقلال ص57

الفصل الثاني : صورة الثورة الجزائرية من خلال إسياخم ص62

المبحث الأوّل : حياته ص62

المبحث الثاني : أعماله في موضوع الثورة ص66

المبحث الثالث : تحليل لوحة " مسيرة الثورة " ص104

خاتمة ص110

قائمة للمصادر والمراجع ص111

فهرس تفصيلي ص112

ملخّص :

كل منّا يتخيّل أحداث الثورة الجزائرية كيف كانت ومدى بشاعتها ، إلاّ أنه لا يمكننا أن نكون بتلك القدرة الكافية على أن نتصورها كما هي، ألاّ أننا نستطيع التقرّب إلى الحقيقة أكثر إن شاهدنا أعمال الفنانين الذين عايشوا الفترة ، وجعلوا موضوع الثورة الجزائرية المجيدة موضوع لوحاتهم .

ومن دراستنا هذه حاولنا التقرب بالأخص من أعمال الفنان " إسياخم محمد " الذي جسد لنا صورة الثورة الجزائرية من خلال أعماله ، والتي ستبقى راسخة في اللحظات التاريخية التي صنعت الجزائر .

الكلمات المفتاحية : الفن ، الفن التشكيلي ، الفن التشكيلي الجزائري ، الثورة .

Résumé:

Les deux imaginer les événements de la révolution algérienne, comment il était et comment horrible, mais nous ne pouvons pas être d'une capacité suffisante que nous envisageons comme ils sont, mais nous pouvons nous rapprocher de la vérité plus si nous avons vu le travail des artistes qui ont vécu la période, et a fait l'objet de la révolution algérienne objet glorieux de leurs peintures.

Et à partir de cette étude, nous avons essayé d'approcher les œuvres de l'artiste en particulier, de "Aseachm Mohammed" qui nous a personnifié une image de la révolution algérienne à travers ses œuvres, qui restera ancré dans les moments historiques qui fait de l'Algérie.

Mots _ clés: Art , Art plastique , Art algérien, la gare .

Summary :

Both imagine the events of the Algerian revolution, how it was and how horrible, but we cannot be that sufficient capacity that we envision as they are, but we can get closer to the truth more if we saw the work of artists who lived through the period, and made the subject of the Algerian revolution glorious subject of their paintings.

And from this study we tried to get close to the artist's works in particular, of "Aseachm Mohammed" who personified us a picture of the Algerian revolution through his works, which will remain entrenched in the historical moments that made Algeria.

Keywords : Art , Art plastique , Art Algerian, storm .